وسائل توثيق الشعر الجاهلي عند الدكتور / ناصر الدين الأسد ـ دراسة وصفية

الدكتور

محمود عبد الرحيم محمد حسين

المدرس بقسم الأدب والنقد

في كلية اللغة العربية للبنين بأسيوط

العدد العشرون

للعام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٦م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ،،،

فما انفك المؤرخون والباحثون على اختلاف مشاربهم وأهوائهم يبحثون في صحة الشعر الجاهلي، وقد جذب هذا الموضوع إليه عدداً من الباحثين والدارسين الذين أدركوا قيمة الشعر الجاهلي وأثره على الشعر العربي في سائر العصور، لما له من قيم فنية تجلى أثرها واضحاً في ما جاء بعده من شعر.

ويعد كتاب: " مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية " للدكتور/ ناصر الدين الأسد، وهو أطروحته التي نال بها درجة (الدكتوراة) من جامعة القاهرة، بإشراف الدكتور/ شوقي ضيف، ١٩٥٦م، يعد في طليعة هذه الدراسات الجادة، بحسبانه مصدرا في الشعر الجاهلي، أثبت فيه المؤلف بأسلوب علمي رصين مصادر الشعر الجاهلي وأقدميتها .

وهذا البحث بحث نقدي توصيفي، يتناول وسائل الدكتور/ ناصر الدين الأسد في توثيق قضايا الشعر الجاهلي المختلفة؛ بغرض التوصل إلى لب البناء النقدي الذي حكم الآراء في كتابه، ثم المقارنة فيما بينها لإظهار مدى تأثير ثقافة وشخصية الكاتب في عملية التوثيق، وما يمكن للنص الموثق فرضه من طرائق وأدوات نقدية إجرائية .

وتطبيقاً لهذا ستقوم الدراسة بتتبع فكر الرجل عبر أبوابه وفصوله، وإخضاعه لوصف منهجه وطرائق الرصد والتوثيق المختلفة، ووصف الأدوات النقدية التي طوعها في نظرته للنص الشعري الجاهلي، وكيف ظهر هذا الارتباط

في مراجعه وأدواته النقدية، وفي تركيز نقده على قضايا معينة دون غيرها مما ورد في الكتاب موضوع الدراسة، فهذه الدراسة أتت لتكشف بعضاً من ذلك في حياد وموضوعية، متخذة النظر في تلك الوسائل ونقدها للحكم على منهج الدكتور الأسد من حيث الموضوعية أو خلافها مادةً لها .

وكان اختيار كتاب: (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) نموذجاً لتطبيق هذه الغاية راجعاً إلى ما أثارته هذه الدراسة من ردود فعل قوية وهي لا تزال لكبر حجمها – إذ تشكل مجتمعة مادة قوامها أكثر من سبعمائة صفحة – حاشدة من النفائس بما يكفي لإفراد كل منها ببحث مستقل، لم يصدني عنه إلا ضيق المقام وتواضع الخبرة .

وقيمة هذا البحث المتواضع تكمن في أنه أول بحث يجمع كل تلك الوسائل والآليات في دراسة واصفة، توقف القارئ على أبرز طرق المعالجة في كتاب: (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية)، بنظرة تحليلية موضوعية تبين طرائق التوثيق العلمي المختلفة التي اتبعها الدكتور الأسد، أكتفي فيه بوصف الأفكار العامة والخطوط العريضة من وصفٍ لمنهجه في كتابه، وتحديدٍ لأدواته التي طوعها للتوثيق والتي جاءت عبر عدة محاور معتمدة، بعضها يتعلق بالمعطى السياقي التاريخي كإطار لعملية التوثيق، ممثلا في إبراز العوامل الثلاث المكونة لهذا السياق (البيئة والجنس والوسط) و التي مر بها هذا الشعر .

وبعضها يتصل ببحث وثوقية الوسيلة الناقلة للشعر، ممثلة في أدوات نقل الشعر كالصحف المدونة والرواية الأدبية بوصفها أداة ناقلة، ثم الرواة بحسبانهم نقلة موثقين. ثم أخيرا : البحث في وثوقية المتن الشعري ممثلا في عدة مصادر للشعر الجاهلي، والحديث عن ترتيب هذه المصادر المعتمدة لدى المؤلف بحسب قوتها .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على إمعان النظر في نصوص الكاتب، بضم تلك النصوص بعضها إلى بعض، وإخضاعها للتأمل والقراءة الذاتية، مع الاستئناس بما استطعت الحصول عليه من آراء النقاد الآخرين؛ حتى تلتئم الكلمات والجمل والعبارات في معان متوافقة وآراء متوائمة، نخرج منها بالنتائج المرجوة .

وقد اقتضت هذه النتائج المرجوة إضافة إلى طبيعة المادة الموصوفة تقسيم البحث بعد التمهيد ثلاثة مباحث تمثل محاور رئيسية يتفرع عنها عناوين فرعية هي بمثابة ظواهر إجرائية استخدمها المؤلف في عملية التوثيق:

التمهيد :

وفيه ألقيت ضوءاً كاشفاً للتعريف بالكتاب وأهدافه العامة ومنهج المؤلف ورؤيته الفكرية والنقدية .

المبحث الأول : البحث في المعطيات السياقية للشعر الجاهلي، ويشمل:

أولا: صلة الشعر بالبيئة الطبيعية والتاريخية.

ثانيا: الكتابة وصلتها بقضية التوثيق .

المبحث الثاني : البحث في وثوقية الوسيلة الناقلة للشعر، ويشمل:

أولا : تقييد الشعر في صحيفة مدونة

ثانيا : الرواية الأدبية

ثالثا : الرواة

المبحث الثالث: البحث في وثوقية المتن الشعري

ثم **خاتمة البحث** :

والتي فيها سأعيد تشكيل النتائج العامة والتفصيلية بشكل مركز وحاسم.

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ،

وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الموقف العظيم . وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

الباحث

تمهيد

الكتاب[١] نظرة عامة

قد صدر كتاب (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) في سبع مائة وسبع عشرة (٧١٧) صفحة، واشتمل على خمسة أبواب رئيسة، كما ذيّل بمصادر البحث ومراجعه والفهارس المتعلقة بالأعلام والأماكن والكتب وفهرس الشعر .

وقد صدّر الأسد كتابه بمقدمة في ست صفحات أشار فيها إلى صلته بالشعر الجاهلي متعلماً له، وباحثاً في مصادره التاريخية.

وقد مهّد لكتابه بنبذة قصيرة عن حياة العرب الجاهليين وتحت عنوان: (مجتمعات العرب في الجاهلية وتفاوتها في الحضارة) أشار بعد ذلك إلى ظهور الكتابة عندهم وموضوعاتها، وكيف ساعد هذا مع طرق الرواية على تدوين الشعر الجاهلي بعد ذلك عندما نشطت حركة التأليف عند العرب، وأرّخت لهذه المرحلة الشعرية من حياة العرب؛ فقدم وصفاً موجزاً للخط والكتابة في الجاهلية ثم قصر كلامه فيما بعد عند كتابة الشعر الجاهلي وحده، وبعد أن استكمل الحديث عن الدعامة الأولى للرواية الأدبية، وهي الصحيفة المدونة تحدث عن الدعامة الثانية وهي الرواية الشفهية أو السماع.

ثم تناول فيما بعد طبقات الرواة، والإسناد في الرواية الأدبية، وعرض لآراء القدماء والمحدثين في صحة الشعر الجاهلي تتبع فيه مصادره جملة، والتي استقى منها الرواة وصولاً إلى الشاعر نفسه، حيث انتهج نهجاً علمياً، خال من الميل والهوى. فأعمل مبضع الجراح الخبير والناقد الفاحص في النصوص التي اجتمعت لديه بعد أن رتبها في مجموعات وفصول وأبواب.

---

(١) ينظر: طبعة دار المعارف بمصر، الطبعة: السابعة ١٩٨٨م .

أهداف الكتاب :

يعد ناصر الدين الأسد من أبرز أعلام النقد الأدبي العربي، فهو رجل يجمع بين الماضي والحاضر والفكرة والعمل وهو مرجعية أدبية ونقدية في العالم العربي[١] وكان همّه في (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) – على ما يبدو – تحقيق عدة غايات علمية، في غاية الأصالة، والقوة، والوضوح:

- إثبات التراث الحضاري العربي قبل الإسلام.
- إثبات صحة الروايات الموثقة للشعر الجاهلي في مجمله.
- القيام بالتحقيق العلمي الرصين للبراهين التاريخية التي اعتمد عليها.

الكتاب بين الرؤية والمنهج والغاية

إن دراسة الأسد – وان كانت توثيقية مجردة – ترتبط ارتباطا وثيقا بادراك لحظة فارقة في مسيرة المشروع النهضوي الإسلامي والعربي؛ بحسبان الاشتغال بقضية التراث في هذه الحقبة يمثل ردة فعل عنيفة لخطابات التجاوز في حق التراث وما يعنيه هذا من تهجم قد يطال الدين، هذا التهجم الذي تولى كبره ثلة من المستشرقين وأذنابهم من الدارسين العرب، إن قضية التأصيل بحسبانها نقطة انطلاق جاءت لتنسف الرؤية الشكلية التي طرحها الدكتور طه حسين وتصحح مسارها وان لم تتوجه إلى الحوار المباشر مع صاحب كتاب: (في الشعر الجاهلي) .

ويكفي للتدليل على هذا المعطى السجالي أن الدكتور الأسد رصد بعناية وبدقة أهم محفزات ودواعي الشك في مصادر الشعر عند الجاهليين في جذورها الأولى عند النقاد الأقدمين، ودواعيها الحديثة عند المستشرقين والدراسيين

(١) مناهج النقد الأدبي في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين: أحمد ياسين العرود، ص ٩١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٤م .

العرب، وذلك حين ناقشها في الفصلين (الثالث والرابع من الباب الرابع من الكتاب) .

مما يؤكد أن صنيع الرجل لا يعكس موقفاً انفعالياً مؤقتا يرتبط بردة فعل متوقعة على ما أثير من قضية نحل الشعر الجاهلي ووضعه.

وفي الحق أن فهم الدكتور الأسد لقضية الشك المثارة في صحة الشعر الجاهلي، كان من الشمول والعمق، إذ كانت القضية عنده مرتبطة ارتباطاً متيناً بمعضلة (المنهج) منهج دراسة الشعر الجاهلي، ولم تكن مرتبطة بالدرجة الأولى، بمجمل الآراء التي يقررها طه حسين، والتي تفهق بالأوهام والأخطاء، ومن هنا باين منهجه مناهج الألى سبقوه[1] في الرد على طه حسين، والتي تنتحي على النظرة الجزئية إلى المسألة، والتعليق الوشيك، واستخدام العنف اللفظي أحياناً بل يمكن الزعم بأن الأسد قد تبنى المنهج الذي ارتضاه المخالفون وهو منهج (الشك في الأصل) كنقطة انطلاق ومحاولة لتنظيف الذاكرة من أي خلفية فكرية تحيط بالموضوع المثار، بتجرد وحيادية وأصالة واستقلال، وظلت فكرة المعالجة الجذرية للمسألة هي التي تحركه، عبر اصطراع المواقف والآراء وتناوش النصوص وتقابلها، مما يؤكد في الأخير وثوق العلاقة بين مقدمات المنهج المرتضى ونتائجه التي تسللت إلى وجدان القارئ في سهولة ويسر .

ولذلك آثر الدكتور الأسد أن يبدأ الطريق من أوله: (... وقضيت أربع سنوات أخرى، خرجت فيها بهذا البحث لدرجة (الدكتوراه)، وأنا مقتنع بأن هذا

---

(١) سبق الدكتور الأسد في الرد على كتاب الدكتور طه حسين وكتابه: (في الشعر الجاهلي) الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه: (تحت راية القرآن)، والأستاذ الشيخ محمد الخضري وكتابه: (محاضرات في= = في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي) والشيخ محمد الخضر حسين وكتابه: (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) والأستاذ محمد فريد وجدي وكتابه: (نقد كتاب الشعر الجاهلي) والدكتور محمد لطفي جمعة وكتابه: (الشهاب الراصد) والدكتور محمد أحمد الغمراوي وكتابه: (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) .

الموضوع الذي أبحثه هو الخطوة الأولى الصحيحة التي تسبق كل خطوة غيرها في سبيل دراسة الشعر الجاهلي، وأن بحث هذا الشعر بحثاً مجدياً لا يتم إلا عن طريق دراسة خارجية أولاً، تعنى بمصادره جملة في مجموعها، وتبحث رواية هذه المصادر وتسلسلها، ورواتها ومدى الثقة بهم، ثم تتبع المصادر الأولى التي استقى منها أولئك الرواة، خطوة خطوة، حتى تصل بين هؤلاء الرواة والشاعر الجاهلي نفسه، وكل دراسة قبل هذه إنما هي تجاوز عن الأصل الأول الذي لا بد من البدء به) (١) .

وعليه يمكن القول: إن العنوان كما يظهر جاء متوازنا ومسالما إن صح التعبير، وحد الألفاظ المكونة له لم يشِ بالمضمون على نحو حاسم، وهو عنوان محايد مجرد، لم تظهر النتيجة فيه على النحو الذي يظهر- مسبقا - رؤية المؤلف وموقفه الفكري والمنهجي من القضية المثارة .

ولهذا كان حريصاً أشد الحرص على أن يخفي كل ما من شأنه أن يجعل عمله يفهم على أنه رد مباشر على أطروحات الآخر، لإثبات صحة هذا الشعر المنسوب إلى الجاهلية، خشية أن ينسحب على كتابه ما يقال عن تلك الكتب التي سبقته في الرد عليه، والتي لا تخلو على وجه التحقيق من سلامة النية ونبل المقصد لدى أصحابها، مما يكشف عن إدراك عميق لطبيعة المزالق التي وقعت فيها هذه الردود، وعن محاولة واعية لتجنب هذه المزالق، سواء على صعيد المنهج أو الأسلوب .

ففي حوار أجري، وردا على سؤال؛ ما إذا كان الكتاب بمثابة رد على ما طرحه الدكتور/ طه حسين ؟ يقول: " إن هذا الكتاب كان تصويرا للحياة الثقافية العربية في الجاهلية من جوانبها المختلفة، وكان لا بدّ لذلك أن يتضمن من

(١) ينظر: مقدمة مصادر الشعر الجاهلية: ناصر الدين الأسد، ص ٢، دار المعارف بمصر، الطبعة: السابعة ١٩٨٨م .

التوضيح والشرح ما يقلّل من شان آراء الدكتور/ طه حسين التي وردت في كتابه الأول ويضعف نظريته عن الشعر الجاهلي " [١].

وعليه لم يتناول الأسد مسألة مصادر الشعر الجاهلي من ناحية الغيرة الدينية بل دقق فيها تاريخياً وعلمياً ولم يتعرض الأسد من قريب ولا بعيد لنقد هذه المسألة خلال نقده لفصل الشعر الجاهلي واللغة، ولعل هذا يرجع لما ذكره في مقدمته من أنه سيقوم بنقد ما رآه مخالفاً للعلم والتاريخ والأدب دون التعرض للمسائل الدينية " ولم يكن أمامي سبيل لذلك إلا أن آخذ نفسي بتحري المنهج العلمي الدقيق، والتزام حدوده التزامًا لا ترخص فيه " [٢] .

فهو صاحب منهج علمي لا يبدأ بمسلمات، ولا يحتكم إلى فروض سابقة فيما يكتب، وهو حين يلج بابا من أبواب البحث يتعامل معه وكأنه الباحث الوحيد في ذلك الباب، فلا يشغل ذهنه بما قاله السابقون، ولعل ذلك ما نجده في مقدمة كتابة مصادر الشعر الجاهلي حين يقول: (وقد بذلت أقصى الجهد في أن أنهج نهجاً علمياً خالصاً، لا أميل مع هوى، ولا أتعصب لرأي، ولا أعتسف الطريق من أمامي اعتسافاً، بل لعل من الصواب أن أذكر أني حين دخلت في الموضوع، لم يكن نصب عيني غاية بذاتها أتوخاها وأرمي إلى إقامة الدليل عليها، غير الغاية المجردة التي سينتهي إليها البحث الموضوعي وحده) [٣] .

إن تقديم منهج جديد – كفكرة – قد لاقى في نفس المؤلف قبولا خاصا، تمثل في الرغبة في إعادة قراءة ديوان الشعر الجاهلي بحيادية وتجريد، هذه الرغبة كان الميل الفطري لديه باعثها الأول على قراءاته التحصيلية لهذا الشعر،

---

(١) ينظر: جريدة الشرق الأوسط (لم أنقض آراء طه حسين عن الشعر الجاهلي ولكن عملت على إضعافها) العدد ٨١٥٣، بتاريخ الأحد ٢٩ ذي الحجة ١٤٢١هـ/ ٢٥ مارس ٢٠٠١م .

(٢) مقدمة الكتاب ص ٣ .

(٣) ينظر: مقدمة الكتاب، ص ٣ .

فكوَّن له هذا ميلاً ذوقياً إلى شعر الجاهليين ترسَّخ بعده ميله الذهني الذي اختزن مادة وفيرة من هذا الشعر.

وهو ما أبان عنه الدكتور الأسد في مقدمة الكتاب: (... ثم قرأت قبل دخولي الجامعة، كتاب الأستاذ الدكتور/ طه حسين (في الشعر الجاهلي) ففتح أمامي آفاقاً فسيحة من التفكير، ودفعني إلى أن أنظر في هذا الشعر نظر المتسائل عن قيمته وصحته، وحملني على أن أستقصي الموضوع من جذوره، وأتتبعه من جميع أطرافه) (١).

فهو يلتزم في دراسته بما يسميه المنهج العلمي متمثلا بالإحاطة بالمصادر والجمع المتقصي لمادة البحث ونصوصه، والتحقيق الدقيق لهذه النصوص ونقد إسنادها ومتنها، ومحاولة التعليل وإرجاع الأمور إلى أصولها والظواهر إلى أسبابها، بما في ذلك أثر البيئة، بالإضافة إلى الموضوعية التي لا تدع مجالا للهوى أو الفرضيات، فكل رأي يدعمه عدد من النصوص التي قادت إليه.

فقد طبق ناصر الدين الأسد الاتجاه التاريخي في دراسته: (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) كما في دراسته القيان والغناء في الشعر الجاهلي، فنراه يقول: " وقد بذلت أقصى الجهد في أن أنهج نهجا علميا، لا أميل مع هوى، ولا أتعصب لرأي ... ولم يكن نصب عيني غاية بذاتها أتوخاها وأرمي إلى إقامة الدليل عليها، غير الغاية المجردة التي سينتهي إليها البحث الموضوعي وحده، فقد كان قلبي مع هذا الشعر حين كنت أقرأه، وكان عقلي عليه حين كنت أقرأ عنه " (٢) .

---

(١) مقدمة مصادر الشعر الجاهلية : ناصر الدين الأسد، ص ١، دار المعارف بمصر، ط: السابعة ١٩٨٨م.
(٢) المقدمة، ص ٥ .

ولعل الإشارة إلى تسمية الاتجاه التاريخي بهذا الاسم لم تكن ذائعة في الأوساط الأدبية، والنقدية آنذاك، فقد أطلق على هذا الاتجاه اسم (الوسيلة العلمية الملائمة للبحث الأدبي) (١).

وأحسب أن اختيار الدكتور الأسد لهذه الخطوة الضرورية في دراسة الشعر الجاهلي، والتي سلفت الإشارة إليها، هي التي جعلت غيره كالأستاذ شاكر مثلا يخطو خطوة أخرى في دراسة هذا الشعر، انطلاقاً من النقطة التي انتهى إليها الدكتور الأسد، كما يتجلى ذلك في دراسته (نمط صعب ونمط مخيف) التي آثر فيها طريق الدراسة الداخلية للشعر الجاهلي من خلال تحليله العميق لقصيدة (إن بالشعب الذي دون سلع) وإثبات جاهليتها من هذه السبيل خاصة، إذ أدرك أن الدكتور الأسد قد أوفى على الغاية في دراسة موضوعه، وليس ثمة زيادة لمستزيد، وهو أخبر الناس، بلا مثنوية، بالشعر الجاهلي خاصة، وبتراث العربية عامة، فكان خليقاً به أن يتجاوز ذلك إلى ما يكون مكملاً لجهود الدكتور الأسد، في إثبات صحة الشعر الجاهلي من جهة، وحل كثير من المعضلات التي تتصل بدراسة هذا الشعر من جهة أخرى، وها هو في سياق حديثه عن خلف الأحمر، يقول الأستاذ شاكر: (... وهذا باب واسع، والقول في صدق خلف، أجاد في تخليصه أحد أصحابنا، وهو الدكتور ناصر الدين، في كتابه: (مصادر الشعر الجاهلي) (٢).

---

(١) قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد: عبد القادر الرباعي، ص ٨٥٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٧م .

(٢) صدر كتاب: (نمط صعب ونمط مخيف) للأستاذ/ محمود شاكر عام ١٩٩٦م، وكان قبل أن يجمع بين دفتي كتاب قد نشر منجماً في سبعة مقالات في مجلة (المجلة) خلال سنتي (١٩٦٩-١٩٧٠م).

المبحث الأول

البحث في المعطيات السياقية للشعر الجاهلي

أولا: صلة الشعر بالبيئة الطبيعية والتاريخية:

حاول الأسد ، أن يقيس الروايات والأخبار على المقررات التاريخية والأصول الاجتماعية ليعيد الأمر عند القارئ إلى نصابه، فقد كان يعرض الأخبار إلى ما يقتضيه علم توثيق النصوص الذي يربط العلل بمعلولاتها، والأسباب بمسبباتها؛ ليرى هل يصح وقوعها أم لا ؟

فمن ذلك محاولته استطلاع الأخبار الواردة في شأن البيئة الطبيعية والاجتماعية لعرب الجاهلية وما تحمله ظاهريا من دلالات خاصة، وقد اقتضى الأمر منه بالرجوع إلى التفصيلات التاريخية، وإلى الثابت من الروايات التاريخية القديمة وكان التدعيم بالشواهد سمة بارزة خصوصاً بعد الاحتكام لهذه الثوابت .

وعليه، سرد لنا شواهد تاريخية تدل على سعة اطلاعه ووفرة معلوماته، خصوصاً حينما عاد بشكل مكثف إلى بيان بيئة العرب الجاهلية، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بالواقع الاجتماعي لعرب الجاهلية في إطار السياق التاريخي العام، ولعل الدارس لكتاب: "مصادر الشعر الجاهلي" يلحظ عناية الباحث بتفصيل البيئة وما عليها من بشر، لأن هذا التفصيل هو المنطلق الذي يحدد مسارات الاتجاه التاريخي ومعالمه في توثيق الأحداث، وما يكون هذا الاتجاه دون البيئة والسكان المقيمين فيها.

ولعل السبب في جنوح الدكتور إلى هذه الملاحظات ذات الصلة بالاتجاه الاجتماعي، يكمن في صعوبة فصل الحياة التاريخية عن الواقع الاجتماعي، حيث يمكن القول إن الاتجاه التاريخي قد أفرز مناهج أخرى تقاربه أحيانا مثل الاتجاه الاجتماعي والنفسي وقد قيل في ذلك: إن الاتجاه الاجتماعي من الاتجاهات

الأساسية التي انبثقت في حضن الاتجاه التاريخي وتولدت عنه واستمدت منطلقاتها منه خاصة عند هؤلاء المفكرين والنقاد الذين استوعبوا تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة وتحولاتها طبقا لاختلاف البيئات والظروف والعصور(١).

وعند عرضه للبيئة الجاهلية وهي الأساس الذي ينطلق منه ناصر الدين الأسد، بين أن هذه البيئة تمتد في رقعة واسعة من الأرض فيها الصحراء والبحار والأنهار والجبال وغيرها من التضاريس المختلفة في البيئة العربية (٢) وفي هذه البيئة نشأت القبائل العربية، وقد أورد تعريف القبيلة بأنّها: " مجموعة من الأعراب البادئين يسكنون الخيام ويقطنون الصحراء " (٣) .

ثم يوضح طبيعة المجتمع الجاهلي، فالنّاس ليسوا سواء في الجاهلية، فمنهم السادة المترفون من ملوك وأمراء وحكام ومنهم العرب الخلّص، ومنهم طبقة الرقيق المجلوب، وهم الفئة الدنيا في المجتمع (٤).

والنظر إلى المجتمعات عموما يتطلب لمس أثر الأعمال التي يمتهنها الناس فيها، لا سيما أن هذه الأعمال ذات صلة وثيقة بالمعطيات الطبيعية والتاريخية والثقافية لتلك المجتمعات. وقد بحث ناصر الدين الأسد طبيعة المهن في الجاهلية ومدى تأثرها بالسياق الحياتي العام، يقول: " ثمة حرف صغيرة وصناعات كثيرة، تتناول من الأمور دقيقها وجليلها " (٥) ويمكن تصنيف أهل

---

(١) اتجاهات النقد الأدبي الحديث في الأردن: محمد مصطفى أحمد أبو طير، محمد أحمد القضاة، ضمن سلسلة (دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية)، ج ٣٦/ ٢٠٠٩ م .

(٢) ينظر: مصادر الشعر، ص ٤ .

(٣) ينظر: مصادر الشعر، ص ٥ .

(٤) مصادر الشعر، ص ٥ .

(٥) مصادر الشعر، ص ٥ .

المجتمع تبعا للمهن، فالتجارة على سبيل المثال عند الجاهليين أعظم شأنا، فهم يدفعون الكثير في تجارتهم، لذلك يستوجب عليهم بذل كل جهدهم في شرائها ونقلها وبيعها [١]

أما عن السكن، فنجد من القبائل من يسكن المدن ومنهم من يظل في الحضر وفي هذا السياق يقول: " كذلك نجد تباينًا واضحًا في معيشة كل قبيلة، بل قد تجد اختلافا بين القبيلة، بل قد تجد اختلافًا بين القبيلة نفسها، فقسم يسكن المدن ويتحضر، على حين يبقى قسم منها باديًا من أهل الوبر" [٢] .

(١) مصادر الشعر، ص ٤ .

(٢) مصادر الشعر، ص ٦ .

ثانيا: الكتابة وصلتها بقضية التوثيق :

الكتابة تعد مظهرا من مظاهر الحياة العقلية للجاهليين، وتعد هذه الفكرة أولى المنطلقات لتحديد ما إذا كان الشعر الجاهلي قد دوّن أم لا، وعليه؛ فقد خص الدكتور الأسد الباب الأول للحديث عن الكتابة وانتشارها ونشأة الخط العربي والنقوش التي أخذ منها في العصر الجاهلي، واستفاض في الحديث عن هذه القضية لما يقارب ثمانين صفحة من كتابه (ص٢٣- ١٠٣) من أجل نفي وصمة الجهل والأمية عن العصر الجاهلي، في محاولة لربط هذا المعطى السياقي والتاريخي بقضية التدوين بحسبانها القضية الأهم .

وقد قدم الأسد تعليلا مناسبا يشير إلى أن الدراسات التي نظرت إلى حياة العرب في الجاهلية، لم تكن بالقوة التي تعلي من شأن أقوال الفريق القائل بنفي معرفة عرب الجاهلية للكتابة؛ إذ يعلل الأسد ذلك بقوله: " ... أن أخبار حضارة الجاهلية جاءت في هذه الكتب ناقصة شائهة، ثم متناقضة متنافرة في الكتاب الواحد للمؤلف الواحد " (١).

واتصالا بهذه النقطة قدم الأسد تصحيحا لمفهوم درج أكثر القدماء والمحدثين على تفسيره، خلافا للواقع، ونعني بذلك مصطلح الجاهلية، فانتهي المؤلف إلى تفسير فكرة الجاهلية على أساس ديني محض، فالعرب لم يكونوا أُميين، ووصْفهم بالجاهلية إنما هو تعبير عن أميتهم الدينية. حيث يقول: " إن حياة العرب في الجاهلية – فيما بدا لنا – بعيدة كل البعد عما يتوهمه بعض الواهمين، أو يقع فيه بعض المتسرعين الذين لا يتوقفون، ولا يتثبتون، فيذهبون إلى أن عرب الجاهلية لم يكونوا سوى قوم بدائيين (٢).

---

(١) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٢.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٨.

وقد تناول الأســد بالنقد والتفنيد جملة من آراء القدماء والمستشرقين التي قررت ما أسماه الأسد (تجهيل الجاهلية)[١] فأحالنا من القدماء إلى رأي الجاحظ، منكرا معرفة العرب بالكتابــة مطلقاً [٢] ورأي ابن ســعد [٣] وابن عبد ربه [٤] وعبد القادر البغدادي [٥].

أما المستشرقون الذين نفَوا معرفة العرب في الجاهلية بالكتابة فأشهرهم كما أشار الأسد [٦]: مرجليوث، وشارل جيمس ليال، وجورجيو ليفي دلاّ فيدا، وبلاشير.

ولقد اتبع في سبيل التدليل على قضية الكتابة وانتشارها في العصر الجاهلي واستظهار أبعادها، عدة تقنيات فنية وإجرائية يمكن أجمالها في الآتي:

أولا : **المراوحة بين حالتي التسليم والتشكيك** :

فهو – مثلا – يقبل الروايات القائلة بانتشار صناعة الورق، ويبحث فــي الطرائق التي تجعله يعمِّق فهمه لها، وفي حركة موازية يلجأ إلى التشــكيك فــي المضمون الكلي لها، فيبحث فيها عن مثالبها، وعن جوانب قصورها[٧] ، على أمل أن يخرج القارئ والمتتبع لهذه الروايات بقدر معقول من اليقين والصــدق فيمــا يتعلق – على الأقل – بظهور الورق – لا انتشاره – كوسيلة حاملة لهذا الشعر .

---

(١) ينظر: مصادر الشّعر الجاهلي، ص٤٣ .
(٢) البيان والتبيين: ج٣: ص٢٨. تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٤٨م .
(٣) كتاب الطبقات الكبير: ج٦: ص٥٠. ط. بريل في ليدن سنة ١٣٢٢ ه- .
(٤) العقد الفريد: ج ٤: ص٢٤٢. تحقيق محمد سعيد العريان – ط الاستقامة، ١٩٤٠م .
(٥) خزانة الأدب ولب لباب العرب: ج٣: ص٢٦٠-٢٦١. السلفية ١٣٤٧هــ، وبولاق.
(٦) انظر: مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٦٧ .
(٧) مصادر الشعر ٨٨

ثانيا : رسم المصطلحات والتعريفات :

وأحيانا يسعى الدكتور ناصر الدين الأسد إلى الإحاطة والشمولية والمعرفة الواسعة والدقيقة في رسم المصطلحات والتعريفات، بحيث تكون جامعة مانعة، وهذا ما نلاحظه مثلا أثناء حديثه عن الخط العربي القديم .

حين يؤكد بعد حديث مسهب عن النقوش التي أشارت إلى شكل الخطوط العربية القديمة أن (الذي يعنينا من كل ذلك أن نصل إلى معرفة أمرين: الأول: صورة الحرف التي كان يكتب بها عرب الجاهلية الأخيرة، والثاني: أقصى زمن نستطيع أن نؤرخ به وجود الكتابة العربية في الجاهلية بهذه الحروف التي عرفنا صورها).

فمن خلال كلام الدكتور ناصر الدين الأسد المنصوص عليه سابقا نجد أنه مثلا قام بتعريف الخط العربي عبر مسارين المسار الأول: صورة الحرف الذي كان عرب الجاهلية يكتبونها والمسار الثاني: تحديد أقصى زمن ومعرفة التاريخ التي كانوا يستخدمون فيها تلك الأبجديات القديمة .

يقول الأسد : " أصل الخط العربي مشكلة كانت مستعصية تتأرجح حولها الآراء ولا تكاد تستقر. والعرب القدامى في ذلك روايات مختلفة، وللمستشرقين المحدثين آراء متباينة " [١] وبعد أن أورد الأسد آراء الباحثين في ذلك وأشار إلى اختلافهم ذكر أن الخط النبطي هو الأساس الذي اشتق منه الخط العربي وأكد على أن هذا الرأي هو الأرجح الآراء عند الباحثين [٢] ثم يسوق الأسد أدلة ملموسة على وجود الخط العربي قبل الإسلام واستعمال العرب له فيذكر نقوشا أثرية عثر

(١) مصادر الشعر، ص ٢٣ .

(٢) مصادر الشعر، ص ٢٤ .

عليها يعود تاريخها إلى ٢١٠م وقد اكتشـــف هذه النقش في وادي الكتب في شـــبه جزيرة طور سينا [١].

ويخلص ناصر الدين الأسد إلى أن عرب الجاهلية قد عرفوا الكتابة العربية بهذا الخط الذي عرفه الصحابة – رضوان الله عليهم – في صدر الإسلام وأن معرفة الجاهليين بهذه الكتابة قد امتدت في الجاهلية ثلاثة قرون على أقل تقدير، ويتابعه في هذا الرأي أستاذه شوقي ضيف، فيقرر أن الكتابة كانت معروفة، بل شائعة في العصر الجاهلي [٢] وان معرفتهم بالكتابة أمر يقيني [٣].

وهذه نقطة أساسية في توثيق روايـــة الشعر والأخبار، إذ تفضي إلى أن الرواية لم تكـــن شفهية فحســـب، بل كانت تكتب وتنقل كـــتابة، وبخط معروف ومـــتداول لدى القوم .

(١) مصادر الشعر، ص ٢٧ .
(٢) مصادر الشعر، ص ٤٦ .
(٣) مصادر الشعر، ص ٣٣ .

ثالثا : **طريقة المقارنة** :

ومن أدواته كذلك استدلاله بالمقارنة، حيث انتهز كل فرصة تسنح له للمقارنة بين حوادث تاريخ الإسلام ونظائرها في التواريخ القديمة والحديثة في أوروبا، وبين الأدب العربي والأعمال الأدبية العالمية، فأثبت مستدلاً بالقياس شيوع الكتابة في الجاهلية " وحكمنا على عرب الجاهلية لا يختلف عن حكمنا عن الإغريق أو البابليين أو الفينيقيين أو المصريين القدماء في إبان حضارتهم " (١) .

رابعا : **الأسئلة والفرض والاستبعاد** :

وتكثر التساؤلات الإنكارية في طريقة عرض الأفكار حتى لتغدو سمة بارزة، هذه التساؤلات يطرحها الأسد تحقيقاً للفكرة المطروحة، ثم يردفها بإجابتها رمى بها إلى إثارة المباحث المعينة على الطرح السديد . تساندها أداة أخرى هي الفرض والاستبعاد .

فنراه يأتي بالفرضيات التي يمكن أن تعرض للعقل المجرد؛ ليناقشها ويدحضها بالأدلة، تأمل على سبيل المثال قوله في سياق إثبات معرفة عرب الجاهلية للكتابة : " فهل كان هؤلاء العرب لا يقرءون كتبهم الدينية ؟ أو هل كانوا يقرءونها باللغة العبرية أو بغيرها من اللغات ؟ وهل من المعقول أن نفترض أن هؤلاء العرب كانوا، حين يتهودون أو يتنصرون، يشترط فيهم أن يتعلموا العبرية أو الآرامية ؟ الأقرب إلى المعقول أن نفترض أنهم كانوا يقرءون كتبهم الدينية مترجمة إلى لغتهم العربية. وليس هذا في الحق فرضًا أو استنتاجًا لا تدعمه النصوص، وإنما هو نتيجة أملتها علينا – مع سلامة المنطق– شواهد من الروايات " (٢).

---

(١) مصادر الشعر، ص ٥٩، ٦٠ .

(٢) مصادر الشعر، ص ٦٢ .

خامسا: الدعم البنيوي والاستنباط :

وهو حالةٌ من تآزر الأدلَّة التي جمعها الباحث من مصادر مختلفة، ليؤكِّد فكرة موضوعات الكتابة في العصر الجاهلي، وذلك في الفصل الثاني الذي يذكر فيه موضوعات الكـــتابة وأدواتها، مدعماً أقواله بأدلة نقلية وعقلية، استند فيها إلى مصادر تراثية موثوقة منها:

١- الاعتماد على التاريخ الذي ذكر طبيعة الحياة الجاهلية ومواثيقها وعهودها، وصلتها الوثيقة مع الدول الأخرى [١].

٢- الاعتماد على النصوص الشعرية المنسوبة إلى العصر الجاهلي، التي تذكر أدوات الكتابة ومعرفة العرب بها.

فجاء ذكر الكتابة والكتاب والصحيفة والمهارق والألواح في شعر كثير من شعرائهم، وما ذلك الاّ أهم دليل من أدلة انتشارها [٢] " وانتشارها في الأوساط المتحضرة والمتبدية منها على السواء " [٣] .

٣- معرفة الشعراء الجاهليين بالقراءة والكتابة:

فالشعراء الجاهليون أرقى طبقات المجتمع عقلا، وأوسعهم ثقافة، ويدل استقراء الشعر الجاهلي على أن عددا كبيرا منهم، قد عرفها ومارسها، مثل: نهشل بن حرّي النهشلي[٤]، والأسود بن يعفر النهشلي[٥]، وعبيد بن عبد العزّى

---

(١) مصادر الشعر، ص ٦٦.
(٢) مصادر الشعر، ص ٨٨ وما بعدها .
(٣) النثر الفني وأثر الجاحظ فيه: عبد الحكيم بلبع، ص١٣، مكتبة الأنجلو المصرية١٩٥٤م .
(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٠٧ - ١٣٣ .
(٥) ينظر: مصادر الشعر : الحياة العقلية، ص ٣٧ وما بعدها.

السلامي[١]، وبشر بن عُلَيْق الطائي[٢]، وعبد الله بن سليم بن الحارث الأزدي[٣]، والأخنس بن شهاب التغلبي[٤]، والزبرقان بن بدر[٥] المرقِّش[٦] .

٤- شواهد تدل على سعة انتشار الكتابة وكثرة القرّاء:

١- فمن ذلك ما ذكروه من أن الناس في مكة شاهدوا ذات صباح شعرا سياسيا مكتوبا على دار الندوة:

ألهى قُصيا عن المجد الأساطير ∴ ورَشوَةٌ مثل ما ترشى السفاسير

وأكلها اللحم بحتا لا خليط له ∴ وقولها رحلت عير أتت عير

٢- أسهمت الحيرة، وهي كما يسميها بلاشير: " العاصمة الثقافية " [٧] للساحل الشرقي، بنشر الثقافة، فقد بنت أم عمرو بن هند ديرا، وكتبت في صدره: " بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك، وأم الملك عمرو بن المنذر، أمة المسيح، وأم عبده، وبنت عبيده .

(١) يحيى الجبوري: قصائد جاهلية نادرة، ص ١٢٥، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٨٧ .

(٣) قصائد جاهلية نادرة، ص ٢٠٠ .

(٤) المفضليات، ص ٢٠٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، البيان والتبيين: ١٧٩/٣ .

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين: ١٧٩/٣، المفضليات، ص ٢٣٧ .

(٦) المفضليات، ص ٢٣٧، د/ أحمد الحوفي: الغزل في العصر الجاهلي، ص ٣٤٩، دار نهضة مصر ١٩٧٣م .

(٧) تاريخ الأدب العربي: رجيس بلاشير، ص ٦٢، ترجمة: الدكتور/ إبراهيم الكيلاني: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدّار التونسية للنشر والتوزيع، تونس ١٩٨٦م .

وروى ياقوت أن يحيى بن خالد البرمكي خرج مع الرشيد إلى الحيرة لمشاهدة آثار قبر النعمان، فطالعا كتابة على أحد جدران الدير [١] :

إن بني المنذر عام انقضوا ∴ بحيث شاد البيعة الراهب

شرُّ البقايا من بقي بعدهم ∴ قلّ وذلّ جده خائب

٥- كثرة المعلمين في العصر الجاهلي :

ومن القرائن التي ساقها ناصر الدين الأسد لتعزيز شيوع الكتابة في العصر الجاهلي، الإشارة إلى وجود المعلمين وتنوع موضوعات الكتابة والشعر وكيف كان ابن عباس كثير الرجوع إلى الشعر الجاهلي في التفسير وكان يقول: " إذا أعياكم تفسير آية في كتاب الله فاطلبوه في الشعر فإنّه ديوان العرب " [٢] .

وعلى الرغم من أن ما أشارت المصادر العربية إليه في معرفة العرب التعلم وطريقته قليل إلا أن الإشارات القليلة قد تلقي الضوء على الطريق التي كانوا عليها في نشره، فالمعلم كان معروفا عندهم " أما وجود المعلمين في الجاهلية فأمر ثابت منصوص عليه في وضوح لا يقبل الشك " [٣] .

وقد ذكر ابن حبيب[٤] من أشراف المعلمين في ذلك العصر: بشر بن عبدالملك السّكوني، وسفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبا قيس بن عبد مناف، وغيلان بن سلمة الثقفي، وعمرو بن زرارة، وكان يسمى الكاتب .

---

(١) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مادة: دير هند الكبرى، دار صادر، بيروت، ط: الثانية ١٩٩٥م .

(٢) مصادر الشعر، ص ١٥٤ .

(٣) مصادر الشعر ٥٠ .

(٤) ينظر: المحبر، ابن حبيب، ص ٤٧٥، طبع الهند ١٩٤٢م.

وهذا يدل على أنهم علّموا أبناءهم، ولكن الطريقة كانت غير مفصّلة، بيد أن هناك إشاراتٍ ذكرتها المصادر تدل على أن عدداً من الآباء، أو غيرهم كان يعلّم بالطريقة الخاصة . فمن ذلك أن عائشة بنت سعد تعلّمت الكتابة عن أبيها، وروي أن حماد بن زيد علّمته أمّه الكتابة في بيت أبيه، فكان حماد أول من كتب في بني أيوب، وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر، وعلّم ابنـــه زيدا [١] وعبد الله ابن جدعان علم حرب بن أمية، وبشر بن عبد الملك علم أبا سفيان[٢].

هذه طريقة عرفت في العصر الجاهلي، وهي طريقة التعليم الخاص، ويبدو أنها كانت الطريقة المألوفة، ولكن المصادر تشـــير إلى وجود أماكن للتعليم سُميت: " الكُتّاب " فقد جاء في ترجمة عدي بن زيد أن أباه طرحه في الكُتّاب حتى إذا حذق أرسله المرزبانُ مع ابنه شاهان مرد إلى كُتّاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية [٣] .

(١) ينظر: الأغاني: ٢/ ٩٨ ، ط: دار الكتب ١٩٤٢ م .
(٢) ينظر: صبح الأعشى، القلقشندي: ٣/١٠، دار الكتب المصرية ١٩٢٢م .
(٣) الأغاني: ٣/ ٩٩، ومقدمة ديوان عديّ ص ١٥-١٦ .

المبحث الثاني

البحث في وثوقية الوسيلة الناقلة للشعر

لقد حقق الأسد في عوامل نقل المادة الشعرية ومدى سلامتها والأسباب التاريخية لذلك ويمكن إجمال هذه العوامل والوسائل في عدة أشكال وصور منها:

أولا : تقييد الشعر في صحيفة مدونة .

ثانيا : الرواية .

ثالثا : الرواة .

أولا: تقييد الشعر في صحيفة مدونة [١]

بعد العرض ، الذي خلص فيه الدكتور الأسد إلى أن الكتابة كانت موجودة في العصر الجاهلي، حيث أثبت معرفة العرب لها ولأدواتها، واستخدامها في حياتهم باختلاف صنوفها، يأتي الحديثُ عن القضية الأساس، وهي: إن كان العرب قد عرفوا الكتابة، فهل استخدموها في كتابة الشعر الجاهلي ؟ ثم هل انتقل الشعر الجاهلي، إن ثبتت كتابته، من مرحلة التقييد إلى مرحلة التدوين والجمع والترتيب؟

وفي ما يتعلق بالشعر الجاهلي، فالسؤال المطروح هو: هل كتب الشعر الجاهلي وأثبت في صحاف، في العصر ذاته فكانت هي الوسيلة التي نقلته إلى العصور اللاحقة؟ وهو سؤال يتبعه سؤالٌ آخر مفاده: هل صاحب كتابته جمعٌ لتلك الصحاف في ما يشبه الدواوين الشعرية؟

---

(١) مصطلح التدوين من الجذر (دون) ولم أعثر له في كثير من معاجم اللغة العربية كلسان العرب ، وتهذيب اللغة ، وغيرهما ، أما مصطلح (الديوان) فذكره صاحب اللسان بأنه : "مجتمع الصحف، قال أبو عبيدة: هو فارسي معرب " . [ينظر: لسان العرب، مادة: (دون)، دار صادر، بيروت ٢٠٠٣ م] .

يدفع إلى هذا التساؤل مصطلحان ذكرهما الدكتور ناصر الدين الأسد، في مصادره، وهما: التقييد، والتدوين، حيث ذكر أن الشعر الجاهلي مرّ في مرحلتين من مراحل كتابته: الأولى: التقييد، والثانية: التدوين(١) .

إن الحديث عن كتابة الشعر الجاهلي – كما يوجه الدكتور الأسد – يستلزم التفريق بين هذين المفهومين: التقييد وهو في اللغة يفيد التثبيت والربط (٢)، ومعناه: كتابة الشعر الجاهلي كتابة ضيقة وتثبيته على صحائف (٣)، والمفهوم الثاني: التدوين ومعناه: جمع الشعر الجاهلي وترتيبه بشكل متكامل يشبه الدواوين الشعرية الحالية إلى حدٍّ ما (٤).

فأكد الأسد اشتمال الشعر الجاهلي في عصره، على هذين النوعين من الكتابة، وقدم لذلك أدلته عليها، وأن الرواة إنما حصلوا على هذه المدونات، وعملوا على انتخابها وتنقيحها، فكانت لهم تلك الشهرة والنسبة إلى رواية الشعر الجاهلي(٥).

١- التقييد :

أما التقييد فقد ذكره بعد أن قدم لمجموعة من الأدلة العقلية والصريحة، التي تشير إلى أن الشعر الجاهلي قد كتب في صحف، على اختلاف أنواعها، ولأغراض شتى في العصر الجاهلي .

---

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٠٧ ما بعدها.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: (قيد)، دار صادر، بيروت ٢٠٠٣م
(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٠٨.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨ بتصرف.
(٥) انظر: مصادر الشعر الجاهلي.

الأدلة العقلية الاستنباطية وهي عنده أربعة :

الدليل الأول : تقييد العرب للشعر ارتباطا بحقيقة كونه سجل للاحتساب والأمجاد " بناء على حرصهم على تدوين شتى مناحي الحياة، فالقبائل العربية كانت تقيد عهودها ومواثيقها، فالشعر أولى " (١) .

الدليل الثاني: دافع قومي ارتباطا بالقبيلة التي ينتسب إليها، أو أخلاقي يتعلق بقيمة الشعر عند منشديه، بحسبانه مصدرا للفخار والتقدير عند غير المكتسبين أما المكتسبين منهم فهو دافع مادي فهو مصدر ارتزاقهم حيث إن " الشاعر منهم يكثر التجوال والتطواف، ويقطع على ظهر ناقته الآماد الواسعة يستسهل طيَّ المفاوز، ويستعذب تحمل المشاق والأهوال في سبيل وصوله إلى ممدوحه الذي سيجزيه عما تجشم وتكلف، ويقضي حاجته، ويكفيه رزقه (٢) .

وتأسيسا على ما سبق يستنبط الأسد: " أفليس من الطبيعي إذن أنْ يقيد شعر شعرائها الذين يدافعون عن حياضها، ويذودون به عن أمجادها، ويسجلون به وقائعها وأيامها، ويعددون فيه انتصاراتها ومآثرها " (٣) .

" أليس عجيبًا بعد ذلك ألا يُعنَى الشاعر، وهذه قيمة الشعر عنده، بأن تحفظ الكتابة شعره أو بعضه ؟ وسيشتد العجب إذا علمنا أن بعض الشعراء لم يكونوا في حاجة إلى أن يتلمسوا الوسائل البعيدة لكتابة شعرهم ويتطلبوا من يكتبه لهم؛ لأنهم كانوا هم أنفسهم يحسنون الكتابة ويتقنونها " (٤).

---

(١) ينظر: مصادر الشعر، ص ١٠٩.

(٢) ينظر: مصادر الشعر، ص ١١٣.

(٣) مصادر الشعر، ص ١٠٦ ، ولمزيد من التفصيل، ص ١٠٨ – ١٣٢ .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ص ١١٣ .

الدليل الثالث : دافع ذاتي يتصل برغبة طبعية عند الشعراء في تقييد أشعارهم حتى يتسنى لهم الرجوع إليه عند الحاجة بدعوى التهذيب والتعديل والإضافة أو الحذف وهو ما يتجلي عند مدرسة عبيد الشعر [١] .

الدليل الرابع: ذكر الأشعار التي أشار فيها الشعراء بالتفصيل للكتابة وأدواتها .

إذ يذهب الدكتور/ ناصر الدين الأسد إلى ترجيح استخدام الكتابة في تقييد بعض الشعر في المرحلة الجاهلية، ويعضد وجهة نظره مرةً بأنَّ الشعر الجاهلي حافل بذكر الكتابة وصورها، والإشارة إلى أدواتها، وتشبيه الأطلال والرسوم ببقايا الخطوط على الرق أو المهارق أو سائر أنواع الصحف، مما يدل على أنَّ هؤلاء الشعراء الجاهليين كانوا على علم دقيق بأنواع الكتابة والحروف [٢] .

الأدلة النصية الصريحة :

إنَّ أحكام الدكتور ناصر الدين الأسد بعد عرضه لأدلته العقلية التي تدل على عد التقييد وسيلة مهمة وبداية طبعية للتدوين العام، ينتقل إلى ذكر الأدلة النصية صريحة الدلالة على تقييد الشعر لدى الجاهليين، فأورد ما يزيد على عشرين نصاً وروايةً، لمم نثارها، وجمع متفرقها، ونظمها في سلك واحد الشعراء الجاهليون أنفسهم يقيدونه بخط أيديهم، أم كانوا يستكتبون غيرهم لتقييد شعرهم[٣] .

---

(١) ينظر مصادر الشعر، ص ١١٨ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ١٢٢ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ١٢٤ – ١٣٣ .

٢- مرحلة التدوين :

ولدى حديثه في الفصل اللاحق عن التدوين، أشار إلى أن ما شاع حول عدّ القرن الثاني الهجري بأنه العصر الذي بدأ معه التدوين هو أمرٌ مشكوكٌ في صحته، ثم شرع يعرض نصوصا وأقوالا تؤيد نظرته في أن التدوين بمفهومه الخاص وهو (الصحف المجتمعة) قد كان قبل هذا التاريخ؛ فيشير إلى أن بعض الشعر الجاهلي قد جمع في العصر الجاهلي في دواوين وأسفار، وقدم أدلته على ذلك(١) وليخلص بقوله: " أمامنا إذن، في هذه النصوص والروايات، شعر جاهلي وأخبار جاهلية مدونة كلها في أسفار ودواوين من الجاهلية نفسها " (٢).

فيذهب الأسد إلى أن الكتابة قد استخدمت في تدوين كثير من آثار الشعراء الأدبية، ويرى أنه استخدام يرقى إلى درجة الشيوع والكثرة، بحيث يصدق أن نقول إنه طريقة جيدة في انتقال الشعر الجاهلي إلى الأجيال اللاحقة، ويرجح الأسد أن بعض الشعر الجاهلي كتب في صحائف متفرقة أو في دواوين مجموعة منذ عهد مبكر جدا، وربما كتب بعضه منذ العصر الجاهلي(٣). وأن بعض هذه المدونات بلغ علماء الطبقة الأولى من الرواة، واعتمدوها مصدرا من مصادر تدوينهم لهذه الكتب التي رواها عنهم تلامذتهم (٤).

وإذا كانت المعلومات عن مرحلة التدوين الأول قليلة، فإننا نفوز بعد ذلك بمعلومات أثمن وأوسع وأدق، نتحقق فيها من انتشار تقاليد جمع الشعر في كتب بينة الترتيب. وهو ما يدعو الأسد إلى القول " الدواوين كانت موجودة – مكتوبة مدونة – في القرن الثاني الهجري، أي من نهاية الربع الأول من القرن الثاني

---

(١) ينظر: مصادر الشعر، ص١٦٢.
(٢) مصادر الشعر، ص١٦٢.
(٣) مصادر الشعر، ص ٤٨٢ .
(٤) مصادر الشعر، ص ٤٨٢ .

على التقريب إلى مطلع القرن الثالث، وهي الحقبة التي كان يحيا فيها هؤلاء العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى، ويلغ فيها نشاطهم ذروته " [١]. وهذا يعني واقعا أن جمع الشعر في مجموعات يرقى إلى القرن الهجري الأول؛ إذ عاد هؤلاء الرواة أن كتب سابقة عليهم .

القضايا والظواهر الناتجة عن التدوين عند الأسد :

إن عمل التدوين هذا نبتت في إثره – كما يستنبط من كلام الأسد – سلسلة من القضايا والظواهر يمكن تلخيصها في الآتي:

(أ) ظاهرة التزاوج بين الرواية الشفوية والنقل عن المدونات القديمة :

والتي لا تكون مؤكدة إلا بعد عرضها على علماء الشعر واللغة، حيث يكون تأمين الوقوع في الخطأ لازما، وفي هذا السياق يورد لنا الأسد نقد ابن سلام من يدونون من الصحف دون مراجعة العلماء ورواة الشعر قال: " إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه – أن يقبل صحيفة ولا يروي عن صحفي؛ رغم الاختلاف في تقدير الصيغة الأصلية لبعض الكلمات الواردة في النصوص المدونة "[٢] بل إنهم كذلك " ضعفوا الأخذ من المدونات في التفسير والحديث "[٣].

(ب) ارتباط التدوين بالكتابة :

إن محاولات التدوين الأولى للشعر الجاهلي و التي أتت ثمارها وأنتجت حركة التدوين العام لها ارتباط بشيوع الكتابة وأدواتها وانتشار المكتبات، سواء

---

(١) مصادر الشعر، ص ٥٥٧ .

(٢) ينظر: مصادر الشعر، ص١٨٠، عن طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، ط: دار المعارف.

(٣) ينظر: مصادر الشعر، ص ١٨٠

كانت خاصة بدولة معينة أو بإنشاء العلماء والأدباء والشعراء لها، وتدليلا على ذلك راح الأسد يسوق العديد من الشواهد التي تحوي روايات تفيد أنَّ الجاهليين كانوا يدونون أشعارهم (١) إذ ينقل السـيوطى في " المزهر " عن حمّاد الراوية قال: إنَّ النعمان ابن المنذر أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج أي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد الثقفي، قيل له إنَّ تحت القصر كنزاً، فاحتفره، فأخرج الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة (٢).

(ج) تدوين الشعر ضرورة حتمية:

إن مسألة الكتابة والتدوين، وحجم الشعر الجاهلي الذي توفر للدارسين يفرض أن تكون قصائده قد دونت، فخشية عمر بن الخطاب على ضياع القرآن الكريم بسبب موت حفاظه قد دعت إلى جمعه وتدوينه، ومن نفس الباب يمكن أن يقال بأن بقاء الشعر الجاهلي بتجاوز أكثر من مئة عامٍ يفرض أن يكون أصحابه ومن اهتم به، قد حفظه في صحاف ومدونات، خشية أن يضيع.

(د) وجود الحوامل المادية الناقلة:

حاول الأسد أن يثبت أن قضية تدوين الشعر لاحت بوادرها في الأفق قبل مجيء القرن الثاني، بل في العصر الجاهلي نفسه، حيث كان يدون بعض من آثار الشعراء وقتئذ؛ وفي بداية قضية التدوين " بدأ الدكتور الأسد بطرح بعض النقاط التي تمت إلى موضوعه بأوفى صلة، لما أخذه على عاتقه في عنوان الكتاب، فنجده مستهلا بسؤالين اثنين:

---

(١) ينظر: مصادر الشعر، ص ١٥٦

(٢) المزهر في علوم اللغة: السيوطي: ٢٤٩/١ ، ط: عيسى البابي الحلبي، ط: الثانية.

الأول: هل كانت الصحف كثيرة وشائعة في هذه الفترة ؟

الثاني: ما هو المظهر اللغوي للتدوين في صدر الإسلام ؟

وقد حاول أن يجيب عليهما بنفسه، والتدليل على ذلك ببعض الشواهد التي نشرت في بعض المصادر، فأكد الدكتور ناصر الدين الأسد أن كثيرا مما وصل إلى عدد من الرواة في القرن الهجري الأول إنما جاء مدونا على حوامل مادية . حسبما يرجح، إلا أن أكثر هذا الشعر وصل من دون شك عبر سلاسل الرواة. فاستخرج ناصر الدين الأسد من كتب العلماء، أن القول بأن الشعر الجاهلي شعر عاش على الشفاهية، ليس بالقول الصحيح، لأن رواة الشعر الذين أخذنا عنهم الشعر الجاهلي كانوا يروون من كتب يقرأونها، بل كانوا يقرأون دواوين الشعراء من الكتب على شيوخهم، وأن الكتب كانت تملأ بيوتهم.

(هـ) الشبه بين الطريقة التى دون بها الشعر الجاهلي في بدايات تدوينه والشعر الهومري [١] :

حيث " الشبه كبير بين الشعرين العربي الجاهلي والهومري في الصفات العامة للتعبير الشعري، فهما يتسمان بالنضارة والغضارة والبساطة، وبالفتنة التي نعزوها إلى " طفولة العالم " عند اليونان، و " سذاجة البداوة " عند العرب [٢] .

(١) الشعر الهومري: نسبة إلى هوميروس الذي تعد ملاحمه من أقدم ما وصلنا من الأدب الإغريقي. [ينظر: الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا: د أحمد عتمان، سلسلة عالم المعرفة رقم ٧٧، ١٩٨٤ م] .

(٢) مصادر الشعر، ص ٢٩٠ .

ثانيا : الرواية الأدبية

الرواية الشفهية والسماع

اعتمد العرب – في معظم الأحيان – في حفظ الشعر الجاهلي، منذ عصر إنشاده إلى عصر تدوينه على الرواية الشفوية، وقد ساعدهم على ذلك ذاكرة فردية وجماعية قوية، وملكات قادرة على الحفظ والاستيعاب، فالرواية مظهر من مظاهر حياة العربي الأولى أملته عليه معيشته المتنقِّلة وسفره الدائم في البوادي والأقطار؛ وكان اتخاذ العرب الرواية الشفوية في كلِّ ما تناقلوه من أدب ودين وعلوم أمرًا متعلقًا بطبائع النّفوس (١) .

إن ارتباط رواية الشعر الجاهلي بالشفهية في أذهان الدارسين هو الذي جعل قراءة الأسد ترتكز عليها بوصفها المنفذ الذي يمكن أن يُطعن من خلاله في صحة الكثير من الشعر الجاهلي، كما حدث مع المستشرقين وطه حسين، بل عدها الأسد دليل إثبات على صحة هذا الشعر؛ حيث شكل السماع أساساً للرواية عند العرب قبل ظهور التدوين " (٢) .

فيظهر اهتمام الأسد الجليل بالنظريات والمبادئ حينما تحدث في الفصل الأول من كتابه عن (اتصال الرواية من الجاهلية حتى القرن الثاني) (٣) حيث تتبع مسارها الزمني في انتقالها من المعنى الحسي إلى العقلي: (الرواية بمدلولها العلمي الأدبي، طور لغوي متأخر، سبقه – فيما ترى – طور ذو دلالة مادية حسية) (٤).

---

(١) تاريخ آداب العرب: الرافعي: ٢٧١/١، مكتبة الإيمان ١٩٩٧م .
(٢) مصادر الشعر، ص ١٩٠ .
(٣) مصادر الشعر، ص ١٩٥ .
(٤) مصادر الشعر، ص ١٩٥ .

وذلك ما راحت تبحث فيه قراءة ناصر الدين الأسد، فاعتبرت الرواية المتصلة من الجاهلية حتى القرن الثاني الهجري لم يشبها تقطيع أو انقطاع؛ وبذلك يؤكد صلابة الطرح الذي يعتمد في القول بصحة الشعر الجاهلي انطلاقاً من اتصال الرواية دون انقطاع مما يقلِّل من حظوظ التلف .

ولكن الرواية الشفوية عند الأسد كانت تسير في حركة موازية لحركة الصحف المدونة لا تعارض بينهما على النحو الذي يدعيه البعض، والذي ينفي فيه وجود النسخة المدونة في كتاب مهما كان حجمه (١).

إن الرواية الأدبية كما يذهب الأسد كانت طريقة علمية متكاملة تقوم على دعامتين هما الكتاب والسماع، وان السبب الدافع إلى أن علماء القرن الثاني كان يتعمدون إغفال ذكر الصحيفة المدونة يرجع إلى الخوف من اتهامهم بالضعف بالأخذ من الصحيفة لا من العلماء رأسا، وقد ساق العديد والعديد من الشواهد والأدلة على إثبات ذلك (٢).

طرق الرواية واتصالها :

وقد عالج الدكتور الأسد طرق الرواية – أشعارها وأخبارها – منذ الجاهلية حتى مرحلة التدوين في العصر الأموي فأكد على أنها " كانت متصلة منذ العصر الجاهلي إلى القرن الأول حتى تسلمها العلماء الرواة من القرن الثاني للهجرة (٣)، فقد حُوفظ على اتصال الرواية الشفهية من حقبة زمنية إلى أخرى، بحيث كانت في العصر الجاهلي وعلى زمن الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين

(١) مصادر الشعر، ص ١٩٤ .
(٢) مصادر الشعر، ص ١٩٥ .
(٣) ينظر: مصادر الشعر، ص ٢٢١ .

وطِوَال الفترة الأمية، ولتأكيد هذه الحقيقة فصَّل فيها ناصر الدين الأسد مستشهداً بعدة روايات وأخبار متواترة تثبت ذلك وتؤكده. خلافا لما ذهب إليه ابن سلاّم [١].

ويدل الاستقراء التاريخي على أن " رواية الشعر الجاهلي كانت مستمرة في صدر الإسلام، وقد أخذت تظهر عوامل جديدة تشد من أزرها وتقوي من شأنها "[٢].

مظاهر اتصال الرواية عند الأسد:

(١) الإسناد في الرواية :

يذهب الباحث إلى أن الإسناد في الرواية الأدبية لم يصبح قاعدة ملتزمة إلا في القرنين الثالث والرابع، حيث يرتفع الإسناد إلى رجال الطبقة الأولى من علماء القرن الثاني. ومنذ مطلع القرن الثاني قامت الطبقة الأولى من العلماء الرواة أمثال أبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية ثم المفضل الضبي وخلف الأحمر، التي تلقت تراث الجاهلية شعرها وأخبارها وأنسابها، بعضه مدون في دواوين كاملة ضمن تراث قبيلة أو شعر شاعر وبعضه مكتوب في صحف،. [٣] كما وصل بعضه عن طريق الرواية الشفهية من الشيوخ ومن أفواه الرواة الأعراب [٤] .

وثمة فارق بين حفظ القبيلة وحفظ الراوية، فرواية القبيلة له لا تجري على نسق واحد، وإنما ترتبط بأعمار أفراد القبيلة وأمزجتهم. أما الرواية

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ص ٢٢، وينظر: مصادر الشعر، ص ٢٢١، ود/ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص ١٤٤، ط: دار المعارف، ط: السابعة.

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص ١٤٤.

(٣) مصادر الشعر، ص ٣٠٥ .

(٤) مصادر الشعر، ص ٣٠٥ .

المحترف فيحفظ ذلك كله، فمن تأمل هذا الإسناد أدرك أن الراوية قد يكون ابن الشاعر، أو أحد أقربائه، وقد يكون غريبا عن القبيلة كلها [١] .

(٢) العلاقة بين رواية الشعر والحديث الشريف عند المؤلف :

كثيرًا ما تقترن دراسة الرواية الأدبيّة برواية الحديث، فكلا الروايتين تنتهيان إلى نفس المحصلة في النتيجة، لكن الأسد يذهب إلى أن الرواية الأدبية عند العرب قبل الرواية الدينية، إذ كانت متداولة عند القوم قبل مجيء الإسلام[٢].

بل يؤكد أن كثيرا من رواة الأدب كانوا كذلك رواة حديث، وإن كانت شهرتهم بالرواية الأدبية قد طغت على شهرتهم برواية الحديث وغطت عليها [٣].

وقد أدى هذا إلى قيام بعض علماء الشعر ونقاده بتوثيق هذا التراث، ونقد مصادره، والكشف عن أحوال رواته، ومراتبهم في التلقي والأداء، متأثرين في هذه الناحية بالقواعد التي وضعها العلماء المسلمون لضبط طريقة إسناد الحديث النبوي[٤]، وعليه " فقد كان إذن هؤلاء المدونون للحديث والتفسير والمغازي يضمنون مدوناتهم شيئًا من أخبار الجاهلية وأشعارها وأنسابها " [٥] .

فأخذ المدوّنون اللاحقون يحققون هذه النصوص ويفسرون غريب متونها واهتموا بالأسانيد نتيجة تأثرهم برواية الحديث الشريف وتدوينه[٦].

---

(١) ينظر: من الرواية إلى التدوين مجلة (دعوة الحق) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية العدد ١١١، ١١٢ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٥٧ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٧ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

(٥) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٥٥ .

(٦) المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

ثالثا: الرواة

ولم تتوقف قراءة الأسد عند مسألة إثبات اتصال رواية الشعر الجاهلي سماعاً في الكثير من الأخبار، بل درجت تبحث في مسألة الرواة في حد ذاتهم، فأتت على التفصيل في طبقاتهم وما أُثر عنهم من أخلاقيات في الرواية والأمانة والموضوعية العلمية، وكان ديدنها في ذلك التمحيص الدقيق في مسألة لها علاقة مباشرة بأهم عامل من عوامل نقل مادة الشعر الجاهلي وهو الرواة .

فأثارت هذه القراءة -ذات الطابع التاريخي- قضية الرواية والرواة وعلاقتها بالشعر الجاهلي، لما لها من أهمية في إثبات صحة النص الشعري الجاهلي ونسبته إلى شعراء هذه الفترة من تاريخ الأمة العربية، ومحاورة بالحجة والمنهج العلمي الرصين ما أراد أن يثبته بعض المستشرقين والعرب من انتحالٍ للشعر الجاهلي.

وقد عمد الأسد إلى طريقة الموازنة بين الروايات التي وردت عن حادثة معينة، وتتم المقارنة عادة بين الظروف والسياقات التي غالبا ما تتصل بالرواة أنفسهم، ثم بين المتون للخبر الواحد في هذا الصدد .

والحق أن التدقيق في المقارنة بلغ غايته عند الأسد، حيث عني ببيان ما أقحم في النص الأصلي من عبارات ألحقها الرواة على سبيل الشرح والإيضاح، فقد حصر روايات الخبر، وقارن بينها، وانتهى إلى تحديد الخبر الأصلي وما ألحق به فيما بعد.

وقد جاء منهج النقد الغربي ليركز على دراسة الوثيقة والكتاب من حيث التحليل الباطني لاستخراج كل الدلائل التي تعرفنا بالمؤلف وعصره [١] بل قد دعت

---

(١) المدخل إلى الدراسات التاريخية لانجلوا وسينوبوس، شارل، ص ٦٧، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، القاهرة ١٩٦٧ م .

الدراسات اللغوية الملتزمة بالمنهج البنيوي والتشريحي إلى عزل النص عن مؤلفه وبيئته ثم القيام بدراسته واستلهامه. وبناء على تركيز المنهج الأوروبي على الوثيقة المدونة، فإنه قد يضطر إلى الفرض والتخمين لمعرفة أصولها ومصادرها القديمة، في حين أن ذكر الأسانيد في الرواية الإسلامية يسر الكشف عن مصدر الخبر [١].

وهو ما نهض به الدكتور الأسد على أكمل وجه؛ فقد صاغ قواعد توثيقية لكيفية التفاعل مع الروايات بفحصها، مما أدى إلى اكتمال معلوماته عن الرواة والتدقيق في أحوالهم من حيث الصدق والكذب، وذلك عبر مجموعة من الأفكار والنقاط يمكن رصدها في الآتي :

(أ) الرواة بين التوثيق والتضعيف:

فتحت عنوان: (توثيق الرواة وتضعيفهم) تناول الأسد في كتابه عدداً من مشاهير الرواة، وعن طريقة قلب الادعاء؛ ذهب الأسد إلى أن الشك في الروايات التي تتهم بعض الرواة بالوضع والانتحال هي الأجدر بالتوقف عندها [٢].

فنهض الأسد بمسئولية دراسة ظاهرة الوضع بمعنى الاتهام والادعاء على الرواة وتتبع أسبابها، فأعلن انه سيقصر حديثه عن الروايات والأخبار التي تتناول الرواة أنفسهم قدحا أو مدحا [٣] وعليه، فقد ساق جميع التهم إلى وجهت بصفة خاصة إلى خلف وحماد الراويين وناقشها، وانتهى إلى رفضها.

---

(١) محمد عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، ص ١٧، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، ط: الثالثة ١٩٨٤م.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٢٩

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٢٩

فأورد عدة روايات إخبارية تكشف في جلاء قيمة الروايات التي ترمي خلفا بالوضع، ونزع القناع عن الأسباب التي وراءها، فليس خلف هدفا في ذاته إنما الهدف المدرسة الكوفية وعلماؤها، فما داموا قد تلقوا عنه، وسمعوا منه، فلا بد أن يكون وضَّاعا، ويصبح ما بين يدي الكوفيين من روايات موضع شك ومطعونا في صحته، والرواية تفضح نفسها بنفسها [١]

واتصالا بنفس السياق وفيما يتعلق بالراوية الثاني يؤكد الأسد " أن الحملة على حماد، رغم كل شيء، يجب أن تأخذ في حذر شديد، ونحن " نميل إلى أن نعد أكثر ما اتهم به حماد موضوعا، دعت إلى وضعه عوامل " [٢].

(ب) نقد الأخبار والإخباريين :

شواهد الأسد في التقصي والشك بما يقع بين يديه كثيرة، وهواه في المتابعة وشغفه في التحقق من الأخبار التي تدخل بشكل مباشر في الأحكام العامة المشهورة يجعله لا يسلم بما يقرأ لأول وهلة، فهو بحاثة ومحقق من الطراز الرفيع ديدنه الشك، لا يميل إلى أخذ وتبني الحكم كما هو، وإن وجد ما يثير الشك عنده سعى إلى إثباته، فقد اهتم الأسد بالكشف عن اتجاهات ناقلي الأخبار المتعلقة بالرواة تحديدا وميولهم العقدية والسياسية، ونظر إلى مروياتهم بحذر، إذا وافقت هواه، ورفض مروياتهم إذا رصد أي ارتباك أو اضطراب فيها .

فبصدد تحقيق الأخبار السابقة الواردة في شأن حماد الراوية- مثلا – وما أثير حوله من شبهات تحط في معظمها – من قدره، وتنتفص من قيمته كراوية معتمد وثقة؛ راح الأسد يستعرض ما أسماه " خلاصة شاملة لما في المصادر العربية من أخبار حماد الراوية " وهي وإن كانت " تميل في أكثرها إلى

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٣٨ وما بعدها.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٥٠ .

النيل منه وتضعيف روايته واتهامه بالوضع والنحل. ولكن كل خبر من هذه الأخبار يحمل في تضاعيفه ما يستوقف الباحث ويسترعي انتباهه ويحمله على التقصي في البحث والنقد [١].

وعن طريق تفنيد هذه الأخبار منطقيا وتاريخيا ينتهي إلى تضعيفها بسبب من العصبيات والمنافسات " فإذا لم يكف هذا الجانب في تضعيف هذه الأخبار، فإن ما فيها من تناقض ليزيدنا اطمئناناً إلى أنها من هذه الأخبار التي ساقت إليها هذه العصبية والمنافسات [٢].

إن تحليل شخصية نقلة الأخبار ودوافعهم سبق إليه المنهج الإسلامي[٣]، وجاء المنهج النقدي الحديث يفتش عن مدى حياد أو موضوعية هؤلاء النقلة [٤] حيث اشترط ألا ينساق الناقل لعواطفه الخلقية والعقدية والفلسفية [٥] وأن تجيء روايته مستقلة قدر المستطاع عن قائلها، فلا يمازجها شيء من ميوله وأهوائه ونزعاته الذاتية، وليس للباحث العلمي أن يختار من الشواهد لبحثه ما يخدم رغبة في نفسه، أو أن يحقق مثلاً أعلى يتمناه " [٦] .

---

(١) مصادر الشعر، ص ٤٤٢ .

(٢) مصادر الشعر، ص ٤٤٦ .

(٣) يمكن الإفادة مما أوجزه ابن خلدون في مقدمته، ص ٤٥، بتحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب ٢٠٠٤م .

(٤) ينظر: المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص ١٢٩٤ .

(٥) ينظر: المنطق ومناهج البحث: محمود قاسم، ص ١٠٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: الرابعة، مصر ١٩٦٦م.

(٦) زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي:١/ ٤٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥م.

(ج) مدارس الرواة

كان هؤلاء الرواة – بطبيعة الحال – يتفاوتون فيما بينهم صدقا وأمانة ودقة، تبعا لتكوينهم الطبقي والعنصري والثقافي، وصمودهم أمام ضوابط البيئة حولهم، سياسية واجتماعية وعلمية، أو استجابتهم لها. حتى إذا استكملت الحياة الثقافية مقوماتها في البصرة والكوفة، تميزت كل منها بطابع أثر عنها وعرفت به، وهو ما أكد عليه الدكتور الأسد (١) .

وتأسيسا على ذلك فصل بعرض تاريخي لهاتين المدرستين، استعرض فيه الجذور الأولى لهما (٢) وكان من أثر هذا الخلاف في المنهجين أن تعصب كل فريق لمدرسته، وأخذ يتهم ويضعف علماء المدرسة الأخرى، وخاصة البصريين الذين كانوا يرون أنهم أخذوا اللغة عن العرب الخلص وأن الكوفيين أخذوها عن الأعراب الذين فسدت لغتهم وسليقتهم(٣) وقد بادلهم الكوفيون اتهامًا باتهام وخصومة بخصومة (٤) .

وربما كان أهم الفروق الأساسية بين المدرستين والتي توصل إليها الأسد أن مدرسة البصرة استهدفت وضع قواعد عامة للغة تلتزمها، وتسير عليها في دقة وحزم، فأهدرت الشواذ، وخطأت بعض العرب، وإذا أصدمت قواعدهم بما هو ثابت من صحيح الرواية قالوا: " يحفظ ولا يقاس عليه". بينما احترمت مدرسة الكوفة كل ما جاء عن العرب، تجيز للناس استعماله، ولو كان لا يلتزم القواعد العامة (٥).

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤١٠ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٢٩ .
(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٣٤ .
(٤) السابق، ص ٤٣٥ .
(٥) السابق، ص ٤٣٣ .

وكانت الخصائص العامة لكل مدرسة لا تظهر في اللغة وحدها، وإنما نتجاوزها إلى ما وراء ذلك من الآثار والأخبار وأدى التنافس بين المدرستين إلى تعصب كل فريق لمدرسته، واتهام وتضعيف المدرسة الأخرى، وتبادل العلماء تهم الجهل والوضع والتحريف، أمر يجعل مهمة الباحث أكثر مشقة وهو يوازن بين الآراء والروايات، بنخلها ويصفيها من الدوافع الشخصية وغيرها .

لقد كانت المهمة الّتي عرض لها علماء الشعر ورواته من تدوين الشعر وتوثيقه شاقَّة، فكان عليهم أن يتثبتوا مما يسمعون، واجتهد الجميع في ذلك، واختلف بعضهم عن بعض في الرواية والتوثيق، كما اختلف رواة المدرستين البصرية والكوفية، يقول ناصر الدين الأسد: " إن رواية اللغة والشعر عند الكوفيين كان فيها كثرة لا تكثر، وزيادة لا تزيد " (١) .

(د)طبقات الرواة :

يطلق مصطلح (الطبقة) على " مجموعة من الرواة، تعاصروا زمناً كافياً، وتقاربوا في السن والإسناد " (٢) .

وقد عقد الأسد الفصل الثاني من الباب الثالث للحديث عن طبقات الرواة، ويلاحظ أن هذا التصنيف جاء تعبيرا دقيقا عن المنحى الذي ارتضاه الباحث لا تصنيفا زمنيا وحسب وإنما نظر إلى طرائق تعامل الرواة مع المادة المنقولة بحسبانها وثيقة وبحسبانهم موثقين، فصنفها إلى ست طبقات: غير أن هذه الطَّائفة من الرواة لم تكن على درجة واحدة في العلم والمعرفة وتم تصنيف هؤلاء الرواة في طبقات فكان هناك الرواة الشُّعراء ورواة القبيلة، ورواة الشاعر، الرواة المصلحون والرواة الوضاعون والرواة العلماء (٣) .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٥١٣ .

(٢) كتب الرجال: الشيخ علي أبو شاكر، ص ٢٣٥، الدار العالمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: الأولى ١٩٩٩م .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٢٢ وما بعدها .

(الشعراء الرواة) :

وهي كما يرى الأسد – طائفتان [١] أولاهما: هم رواة الشاعر نفسه، فقد كانوا يلازمونه، ويأخذون عنه . وهذه الملازمة – ضرب من التلمذة، حيث يمارس الشاعر الناشئ مهنته المنشودة في المستقبل مبتدئا العمل على يد أستاذ، ثم أنه يعد ذلك ضربا من التدريب والمران " [٢] .

وقد ذكر صاحب الأغاني سلسلة من هؤلاء الشعراء الرواة الذين يأخذ بعضهم عن بعض [٣] .

الطائفة الثانية من هؤلاء الشعراء الرواة: يروون شعرًا لمن سبقهم ولبعض من عاصرهم من الشعراء، لا يخصون شاعرًا بعينه يتتلمذون له [٤] وتبرز ظاهرة الرواة الشعراء في قبائل هذيل [٥] .

(رواة القبيلة) :

ولم يكن الشعراء الجاهليون وحدهم يهتمون برواية هذا الشعر، بل كان هناك رواة القبيلة [٦] .

وقد دلل الباحث على مبلغ عناية القبيلة بالشعر بمعلقة عمرو بن كلثوم التغلبي التي بلغت أبياتها عند بعض الرواة ألف بيت، والتي تعد من أبرز أعمال

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٢٢ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٢٢ .
(٣) الأغاني: ٩١/٨ .
(٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٢٢.
(٥) تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، ص ١٤٣ ، ومصادر الشعر الجاهلي، ص ٢٢٢ وما بعدها .
(٦) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٣١ .

التغلبيين[١]، وظل اهتمام تغلب بالمعلقة يروونها صغيرا وكبيرا، حتى هجاهم بذلك أحد شعراء بكر، فقال:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة ∴ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كان أولهـــم ∴ يا للرجال لشعر غير مسئوم[٢]

ولا ضير في أن يكون رواة القبيلة هم رواة الشاعر نفسه، على أن يكونوا من أبناء القبيلة، وقد أدرك كثير منهم الإسلام، وعاشـــوا في كنفه زمنا طويلا، مثل: ابن عبيد بن الأبرص، وعلي بن علقمـــة بن عبدة، وكعب بن زهير، وعبد الرحمن ابن حسان .

(رواة الشاعر) :

يقرر الأسد أن الأخبار التي بين أيدينا عن رواة الشاعر قليلة بالقياس إلى الأخبار التى بين أيدينا عن رواة الشعراء في العصور الإسلامية[٣]، ولا نعرف من هؤلاء الرواة في الجاهلية إلا اثنين كانا يرويان للأعشى في الجاهلية أحدهما يدعى (عبيد) وراوية آخر ذكره الأصفهاني وهو (يحيى بن متى) وذكر الجواليقي في المعرب اسماً ثالثاً لراوية الأعشى وهو (يونس بن متى)[٤] ويرى ناصر الدين الأسد أن هؤلاء الرواة هم واحداً أصلا، أصاب اسمه تحريف؛ لأنه كان عبادياً من نصارى الحيرة، وأن اسمه لذلك لا يشاكل الأسماء العربية، وقد أصابه بعض التحريف عند تعريبه [٥] .

---

(١) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٣١ .

(٢) الأغاني: ٤٥/١١ .

(٣) مصادر الشعر، ص ٢٣٨ .

(٤) مصادر الشعر، ص ٢٣٩ .

(٥) مصادر الشعر، ص ٢٤٠، ٢٤١ .

(رواة مصلحين للشعر):

ويرى الأسد أن هؤلاء الرواة ليس لهم طبقة خاصة قائمة بذاتها، ومع ذلك فإصلاح الشعر موضوع قائم بذاته(١)، وأن هذا الإصلاح غالبا ما يتوجه إلى الشعراء من غير المنقحين لشعرهم كزهير مثلا(٢)، وعليه راح يستعرض بعض نماذج الإصلاح التي قام بها الرواة على شعر بعض مشاهير الشعراء الجاهليين وتحديدا امرئ القيس وعدي ولبيد (٣).

(رواة وضاعين):

وتحت هذا العنوان الفرعي تتبع آراء القدامى المتفرقة في الكتب عامة، وكتب السيرة والمغازي وطبقات ابن سلام بصفة خاصة؛ فدرس هذه الآراء وصنفها، ورتبها، بصورة مجردة مؤكدا أن أكثر مجالات الوضع اتساعا هو القصص وأحاديث السمر(٤) ثم أخبار أيام العرب في الجاهلية (٥) محاولا – مبدئيا – ربطها بقضية الانتحال العامة، ثم ربطها بما يتعلق بقضية (التوثيق والتضعيف) لدى الرواة في فصل لاحق، بحيث كان هؤلاء الرواة لا يدونون إلا ما يستوثقون منه(٦)، هذه الموضوعات التي كانت تقف وراءها عوامل كثيرة منها العصبية، والنزعات الدينية والمذهبية والطائفية .

---

(١) مصادر الشعر، ص ٢٤١ .
(٢) مصادر الشعر، ص ٢٤١ .
(٣) مصادر الشعر، ص ٢٤٣ وما بعدها .
(٤) مصادر الشعر، ص ٢٤٥ .
(٥) مصادر الشعر، ص ٢٥٠ .
(٦) مصادر الشعر، ص ٣٢٦ .

(الرواة العلماء) :

وهذه الطبقة- والتي تتشكل من أمثال: المفضل الضبي والأصمعي وأبي عمرو الشيباني – فتنظر إليها قراءة الأسد من حيث أعلامها مثل الأمانة العلمية والتوثيق الرصين والاحتراف المتمكن، فكان لها الدور الرائد في تقويم ما اعوج في مسار رواية الشعر الجاهلي، يضاف إلى ذلك أنها اعتمدت في تدوينها على وضع المصنفات التي ما زالت إلى يومنا هذا ذُخر التراث العربي، وبذلك نقلت رواية الشعر العربي من مرحلة الشفهية البدوية إلى مرحلة الرواية الكتابية ذات البعد الحضاري المتمدن .

فمنذ مطلع القرن الثاني الهجري نشأت – كما يرى الباحث – طائفة جديدة من الرواة، وهم الذين يطلق عليهم : " الرواة العلماء "، " وربما كان أول شيوخها الذين مهدوا الطريق:_أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤هـ)، فقد عرف بصدقه وأمانته، فهو أحد القراء السبعة الذين أخذت عنهم تلاوة القرآن الكريم، وقد شهد له بالصلاح والتقوى[١]، وحماد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦هـ)[٢] ولذا قال محمد بن سلام: " وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية " [٣]. وقد أخذ عن هذين العالمين – أبي عمرو وحماد – سائر من نعرف من شيوخ العلم والرواية كخلف الأحمر، والمفضل، والأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي عمرو الشيباني، وأخذ عن هؤلاء من تلاهم: كابن الأعرابي، ومحمد ابن حبيب، وأبي حاتم السجستاني، ثم أخذ عن هؤلاء: السكري وثعلب وأضرابهما [٤] .

---

(١) البيان والتبيين: ١/٣٢١ .

(٢) مصادر الشعر، ص ٢٥٢ .

(٣) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٤٠ .

(٤) السابق، ص ٢٥٢ .

ويقر الأسد أن مهمة هؤلاء الرواة جاءت في المقام الأول لجمع الشعر، لا شرحه أو نقده [١] .

وفي حديث مسهب، رصد الأسد أهم مميزات هذه الطبقة ويأتي في مقدمتها أنها اتخذت من الشعر موضوعًا علميًّا، تدرسه دارسة، بعد أن تأخذه عن شيخ أو أستاذ في مدرسة من مدارس علم الشعر وروايته آنذاك [٢] ومنها كانت تجمع ما استطاعت جمعه من الشعر الجاهلي من الشيوخ المختلفين، ومن أفواه الرواة من الأعراب، ومن بعض الصحف المدونة ثم تدرسه، وتمحصه، وتفحصه، وتميز صحيحه من فاسده، والثابت النسبة من المشكوك فيه [٣]، وتنتهي من ذلك إلى تسجيل ما ترجح لديها صحته في نسخة خاصة تصبح هي رواية ذلك الشيخ الراوية العالم، ينقلها عنه تلاميذه وينسبونها إليه [٤].

(١) السابق، ص ٢٥٢ .
(٢) السابق، ص ٢٥١ .
(٣) السابق، ص ٢٥٢ .
(٤) مصادر الشعر، ص ٢٥٢ .

المبحث الثالث

البحث في وثوقية المتن الشعري

ما ذكرنا فيما يتعلق ببحث وتحليل الدكتور الأسد يمكن إدراجه ضمن العناصر الخارجية لوثوقية النص الشعري القديم، فالحديث عن الكتابة كأداة، والحوامل المادية الناقلة للشعر ممثلة في الرواية الأدبية بشقيها: الصحف المدونة والسماع، ثم الحديث عن قضية التدوين الكبرى ممثلة في الرواة وما أثير حولهم من إشكاليات تتصل بالأمانة في النقل والصدق في التدوين، كل ذلك إنما هو من متعلقات قضية التوثيق ولوازمها، ويبقى الحديث عن ترتيب هذه المصادر المعتمدة بحسب قوتها .

فلا شك أن معلوماتنا عن الشعر الجاهلي في صورتها النهائية، جمعت من المدونين المختصين من أهل الأدب والمؤرخين والقصاص وغيرهم، وهي ليست بمنزلة واحدة، من حيث النقــد والتمحيص، والمهتمون بها ليسوا كلهم من أهل الأمانة والتحري في النقل، فلن نجد الشعر، في أخباره أو في مدوناته، إلا في عمل رواته، بوصفهم جامعين له بعد أن كانوا منشأين له، وذلك في " كتب " و" أشعار " و" دواوين "، حسب التسميات التي وصلتنا عن أعمالهم.

وبالتبعية فهي لا تمثل عمل الشعراء أنفسهم على شعرهم، بل ما خلفه لنا الرواة والجامعون، ولو عدنا إلى المتوافر من مجموعات الشعر العربي الأقدم لوجدنا أن ما وصلنا منها لا يوفر لنا في أحوال عديدة مدونات الرواة أو الجامعين الأوائل في العصر الجاهلي، بل مدونات لاحقة ترقى خصوصا إلى عمل المصنفين في القرون التالية على أصح التقديرات .

وكمقررات ومؤسســات لهذا الغرض؛ يوجه الأســد أن بعض الشعر الجاهلي " كتب في صحائف متفرقة أو في دواوين مجموعة منذ عهد مبكر جدا،

وربما كتب بعضه منذ العصر الجاهلي " [١] وأن بعض هذه المدونات بلغ علماء الطبقة الأولى من الرواة، واعتمدوها مصدرا من مصادر تدوينهم لهذه الكتب التي رواها عنهم تلامذتهم وان هؤلاء العلماء الرواة في القرن الهجري الثاني كانوا يعودون، هم وتلامذتهم إلى نسخ مكتوبة من هذا الكتب في مجالس علمهم وحلقات دروسهم [٢] وأن رواية هذه الكتب التي بين أيدينا – حين يكون الكتاب مسندا – تنتهي إلى أحد هؤلاء العلماء من رواة الطبقة الأولى أو إلى أحد تلاميذهم، ثم تقف عندهم ولا تتجاوزهم[٣].

لقد أولت قراءة الدكتور الأسد لهذا المحور اهتماماً علمياً، فخصص للدرس والتفصيل في مسائل هذه المصنفات التراثية الباب الخامس بأكمله، منتهجا في ذلك منهجاً وصفياً استقصائياً مبنياً على تتبع الظاهرة في منابعها الأصلية، وموازنا بين الروايات من أجل تجلية الحقيقة العلمية لا غير " حيث تتجلى أبعاد النقد التاريخي القائم على استقصاء الخبر في جميع المصادر المتوافرة " [٤] ومظانه المتنوعة، وهو يتطلب عدم الاكتفاء بما يبين للعين أو يعثر عليه بأيسر جهد، بل يتطلب الاستقصاء البعيد والتفتيش الدقيق في كل ركن وزاوية أملاً في أن ينكشف شيء جديد [٥].

وتوصل إلى التحقق من أن الرواة الجامعين الأوائل في القرن الهجري الثاني عملوا على ترتيب كتبهم بدءا من كتب ومدونات توافرت لهم، بالإضافة إلى ما حفظوه من هذا الشعر شفاها .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٨٢.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٨٢.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٨٣.

(٤) نحن والتاريخ: قسطنطين زريق، ص ٧١، بيروت، ط: الثانية ١٩٦٣م .

(٥) زريق: نحن والتاريخ، ص ٩٧ .

فقد كان للتدوين في نظر الدكتور الأسد في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الدور الرئيس في التوثيق للشعر الجاهلي، بحيث انبرى ثُلة من الرواة الثقاة من مثل: المفضل الضبي والأصمعي وأبو عمرو الشيباني إلى جمع مادة هذا الشعر في مختارات ودواوين شعراء وشعر قبائل الخ .

ولقد صنف الدكتور الأسد هذه المصنفات إلى عدة أشكال وصور:

(١) الدواوين المفردة :

عُدَّت مجموعة الدواوين الفردية من المصادر الرئيسة للشعر الجاهلي، فخصص الدكتور/ الأسد الفصل الأول من الباب الخامس للحديث عن هذه الدواوين، فبحث فيها، مفصلا القول في أصول روايتها وأنواعها والنسخ المختلفة التي خلفها الرواة والقيمة العلمية لرواتها ورواياتهم، والنسخ التي أثرت عنها، منتهجا في ذلك طريقة عرض الروايات على بعضها بعض؛ بغية التحقق والتمحيص، فعرض الكثير من المقطوعات التي وردت في الدواوين بمختلف نسخها على نظيراتها التي وردت في المفضليات والأصمعيات، وعقدت موازنة بينهما من أجل تجلية الحقيقة العلمية والقيمة الصحيحة للروايات.

وقد اتخذ ناصر الدين الأسد من ديواني أمريء القيس وزهير بن أبي سلمى ركيزتين أساسيتين في معرفة الشعر الصحيح من غيره، والذي يتلخص في "أن خير منهج هو أن نسّلم بصحة ذلك القدر من الشعر الذي اتفق عليه العلماء والرواة واشتركوا في روايته وأن نتخذ من هذا القدر المشترك المتفق عليه أصلا لديوان الشاعر، ندرسه دراسة دقيقة لنستشف منه روح الشاعر وخصائصه الفنية ثم نتخذ من هذا المقياس الفني الذي نستخرجه مح كما نعرض عليه القصائد المتفرقة، التي انفرد كل راوية عالم بروايتها فما استقام منها مع مقياسنا رجحنا

صحته وضممناه إلى الديوان، وما لم يستقم رجحنا أنّه مما اختلفت نسبته على ذلك الراوي العالم(١).

فأفاد الدكتور الأسد أن الأخبار والمجموعات التي بلغتنا من الشعر الجاهلي، أشارت إلى أن الجامعين الأوائل مثل الأصمعي عملوا على جمع شعر امرئ القيس وغيره، وهو ما يمكن أن نتحقق منه لو عدنا إلى الروايات التي بلغتنا عن شعر امرئ القيس(٢) وهي رواية واحدة أو روايتان متقاربتان، وأول ما وصلنا من الروايات الكوفية رواية المفضل بن محمد الضبي، وجاءت عبر تلميذيه: أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، وأبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، وحفظها لنا أبو الحسن علي بن عبدالله بن سنان العلوسي (٣).

هذه الروايات قد صنفها " وفق أوليتها وأصالتها من جانب وتدرجها التاريخي من جانب آخر " ووجد أنها تقسم ثلاثة أقسام " (٤) :

(١) أصول .

(٢) روايات التلاميذ .

(٣) الروايات المجموعة .

أما الأصول: فيرى الأسد أن المصدرين الأساسيين والأولين لها هما: رواية الأصمعي البصري، ورواية المفضل الكوفي (٥)، وأن رواية الأصمعي تعتمد بعض الشيء على صحائف متفرقة أو دواوين مجموعة كانت عند هذين العالمين:

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥١٤ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٨٩.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٨٩ وما بعدها .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٨٩ وما بعدها .

(٥) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٠٧ .

(حماد الراوية وأبو عمرو بن العلاء) وربما وصلتهما من العصور السابقة عليهما، فضلا عن اعتمادهما على السماع والرواية الشفهية. أما المفضل الضبي فيبدو كذلك أن روايته متصلة بالمدونات التي وصلت إليه من العصور السابقة(١).

أما رواية التلاميذ : وهي أيضًا على ضربين: روايات بصرية، وروايات كوفية فمن علماء البصريين من رجال الطبقة الثانية الذين أخذوا عن الأصمعي: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني(٢).

أما رواة الكوفيين منهـــم: محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥هـــ)، ويعقوب ابن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٦هـــ) (٣) .

أما الروايات المجموعة: فيلجأ الدكتور الأسد في تحريرها إلى التوفيق بين النصوص التي ظاهرها الاختلاف والتعارض، فالجمع بين الروايات الصحيحة والعمل بها أولى من إسقاط بعضها، ولقد عد منهجُ البحث الحديثُ النصَ المكتوب أساساً لتلقي العلم وشكك في المصادر الشفهية، وعدَّ الملاحظة هي البداية الصحيحة لكل بحث علمي وعرفها بأنه " مشاهدة دقيقة لظاهرة ما "، مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة هذه الظاهرة (٤) .

فتوصيفا يرى الباحث أن هذه الروايات المجموعة نسخة الديوان التي ضم فيها جامعها روايات مختلفة لرواة مختلفين من مدرستي البصرة والكوفة معًا(٥).

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٠٧ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٩١ .
(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٩٢ .
(٤) محمود قاسم: المنطق ومناهج البحث، ص ٣٥، ٣٦ .
(٥) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٩٣ .

وتفصيلا هي: " ضربان، الضرب الأول: ما جمعت فيه قصائد من روايات مختلفة جمعًا مختلطًا متداخلًا، والضرب الثاني: ما جمعت فيه قصائد رواية واحدة في نسق متتابع، ينص في أولها على أنها روايــة فلان، وينص في آخرها على أنه " كمل شعر امرئ القيس من رواية فلان " [١].

(٢) دواوين القبائل :

بحثت قراءة الأسد كذلك في دواوين القبائل بوصفها مصدراً آخر من مصادر الشعر الجاهلي، فتوسعت في ذكر مصادرها وسيرة من صنعوها .

واللافت في أمر هذه الكتب كما يشير الأسد [٢] هو أنها ما كانت تحمل في عنوانها تسمية: " الديوان " بل غيرها، إذ أطلقوا عليها تســميات كهذه : " أشعار بني فلان " ، أو شعر بني فلان "، أو " كتاب بني فلان ". على ما ورد عن أسماء كتبهم في كتاب: " المؤتلف والمختلف " للآمدي .

كما تطرق الأسد إلى رصد الفرق بينها وبين الدواوين الفردية، محاولة منه لوضع تعريف لها بالمقارنة مع ديوان الشاعر الفرد، فيرى أن دواوين القبيلة " هي – في جوهرها – مجموعات شعرية، تضم بين دفتيها قصائد كاملة، ومقطعات قصيرة، وأبياتًا متفرقة، لشعراء تلك القبيلة أو لبعض شعرائها، وربما ضمت أكثر شعر هؤلاء الشعراء، بل ربما ضمت جميع شعر شاعر منهم وديوانه كاملًا " [٣].

إن كثرة المعلومات عن شعر القبائل، واتساع العمل في جمع هذا الشعر، دعا الأستاذ الدكتور الأسد إلى استشعار التحسر على فقد الكثير منه حيث " لم

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٩٣ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٥١ .
(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٥٤ .

يصلنا من هذا المجموع الهائل سوى كتاب واحد، هو ديوان هزيل [١] متحدثا عن هذا الديوان بوصفه أنموذجاً تراثياً، ينتهي الأسد بعد دراسته إلى القول: " أن ما بين أيدينا من شعر هزيل غير كامل " [٢] .

وبحسبان شكل الجمع للأشعار ذا حضور في هذا السياق؛ نجد أن دواوين القبائل كان لها قيمتها الفعالة في هذا المضمار، ويطالعنا المؤلف بمجموعة من العلماء الذين ألفوا في هذا الجمـــع، فلقد جمع أبو ســـعيد العسكري، على ما ذكر ابن النديم، ثمانية وعشرين ديوانا من دواوين القبائل، وصنع أبو عمرو الشيباني ديوان بني تغلب، وديوان بني محارب، وذكر عنه ابنه أنه جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة، وكل قبيلة في كتاب مستقل، وممن عملوا في صنع مجموعات القبائل أيضا: أبو عبيدة المعمر بن المثنى، الذي جمع أشعار القبائل في كتب عديدة، والأصمعي بعض شعر القبائل، وحماد الراوية (١٥٦هـ)، والمفضل الضبي (١٦٨ أو ١٧٨هـ) وخالد بن كلثوم الكلبي، ومحمد بن حبيب وغيرهم [٣].

ويخلص الأسد إلى ترجيح أن " هذه الدواوين كانت مدونة في القرن الأول نفسه " [٤] .

ثم ينتهي بعد استفاضة في طرائق البحث والتنقيب في الروايات التي تتصل بأسماء هذه الدواوين وإسنادها، إلى أن أنها وصلت إلى العلماء الرواة في القرن الثاني مكتوبة مدونة، وأنهم اعتمدوا هذه المدونات مصدرًا من مصادر تدوينهم نسخهم الخاصة من كتب القبائل التي نُسبت بعد روايتها إليهم. والى أن

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٤٨ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٦٢ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٥٥ وما بعدها .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٥٨ .

هذه المدونات قد كتب بعضها منذ مطلع القرن الأول ولعل بعضها الآخر قد كتب منذ الجاهلية نفسها [١] .

(٣) المختارات الشعرية :

تناولت قراءة الأسد كذلك المختارات الشعرية الجاهلية كالـ (مفضليات) و(الأصمعيات) و(حماسة أبي تمام) و(جمهرة أشعار العرب) بالدرس والتمحيص العلميين، فعمد إلى كل ما لـه علاقة بتحقيق روايتها وأسانيدها وذكر قيمتها العلمية في تاريخ رواية الشعر الجاهلي.

المفضليات :

وهي أقدم ما وصل إلينا من مختارات الشعر العربي القديم [٢]، فالمفضل وضع مختارات أوسع أو أغزر من مختارات حماد الراوية، وسمى مجموعته في الأصل " كتاب الاختيارات " وسميت بعد ذلك نسبة إلى جامعها " المفضليات " [٣].

ويعترف الأسد في المبدأ باضطراب رواية هذه المجموعة، وذلك يعود في نظره إلى كثرة رواتها من تلاميذ: المفضل [٤] وأنها لم تسلم من الشك في عدد قصائدها أو في نسبتها جميعا لصاحبها [٥] ومع ذلك يتوصل الأسد إلى اتصال إسنادها من ابن الجراح إلى المفضل [٦] فهي تعد من أوثق مصادر الشعر الجاهلي، لأن صاحبها من الرواة الثقاة، فالرواية المؤسسة هي السمة الرئيسة

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٦١ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٦١ .
(٣) تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار وآخـرين، دار المعـارف بمصر، ١٩٧٧م.
(٤) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٧٣ .
(٥) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٧٥ .
(٦) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٧٤ .

للمفضل الضبي في تعامله مع رواية الشعر الجاهلي؛ فالفحص والتمحيص والتوثيق من المقاييس الأساسية التي اعتمدها لقبول أي نص شعري جاهلي .

الأصمعيات :

أما الأصمعيات ؛ فبعد إثبات صحة روايتها ينتقل الدكتور/ ناصر الدين الأسد ليؤكد ما ذكره ابن النديم في اختصار رواية الأشعار، وأن ذلك كان شأناً من شؤون الاختيار الذي سمّاه بالاختصار؛ فالأصمعي حين يختار هذه الأشعار، لا يروي القصيدة كاملة، بل ربما كان يختار أبياتاً أو قطعاً صغيرة، ومن ثم يعمد إلى إغفال ذكر سائر الأبيات .

فالأصمعيات إذاً، بسندها وروايتها، موثوقة إلى أعلى درجة، ولكثرة ما فيها من الألفاظ المهجورة، اعتبرت ثاني المجموعات الشعرية بعد المفضليات، أفاد من غريبها الشراح، وإن كان قليلاً، لأن الأصمعي كان ينحو نحو تعليم الشعر العربي، بما هو سهل منه، وشائع وحصين، لا بما هو غريب فقط، فكان ذلك مما ميز الأصمعيات عن المفضليات، وتلك غاية سامقة، بلغها الأصمعي عن حق وعن جدارة .

ويرجع الأسد غياب الإسناد في النسخ الخطية التي طبع عنها الأصمعيات، إلى هذه النسخ لا إلى الرواية الأدبية؛ حيث تأكد لنا حرص الرواة على الإسناد(١).

أما على صعيد الرواية، فقد وجد الدكتور/ ناصر الدين الأسد، أن علماء الطبقة الأولى " لم يسندوا إلى من قبلهم من العلماء، إلا في القليل النادر. وإن ذلك لم يعد عيباً ولا نقصاً فيهم، ولا فيما يروون . وإن كان الأصمعي، مثله مثل علماء الطبقة الأولى من الرواة، لا يستند روايته في الغالب غير أننا نراه أحياناً في بعض اختياراته من الأصمعيات. " فعل في بعض مختاراته هذه، فنص في ست

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٧٨ .

منها على أنه رواها عن أبي عمرو بن العلاء " [١]، فأضاف الأصمعي بذلك معلماً توثيقياً آخر لرواية الشعر الجاهلي، كان الدعامة القوية على صحة هذا الشعر وتمييزه من المنحول الموضوع .

ولعل الاهتمام بسند رواية الأصمعي، ظهر عند ابن النديم في فهرسته إذ قال: "وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غريبها واختصار روايتها " [٢].

وتغياً للدقة والأمانة العلمية؛ ينتهي الأسد إلى أن صاحبي المفضليات والأصمعيات قام عملهما على نقد وتحقيق ونخل وتمحيص ما بلغهما من قصائد، وما استقياه من المصادر التي عملوا عليها، دون أن يبلغنا ما يفيدنا عن اختياراتهم هذه، وأرجح الظن أنهما كانا يجمعان أوسع ما يصلهم من شـــعر شـــاعر، بعد التحقق منه .

وهو ما نفهمه في سياق لاحق عن المختارات الأخرى كـــ: (حماسة أبي تمام) و (جمهرة أشعار العرب): " ثمة ضرب آخر من المختارات يختلف عن المفضليات والأصمعيات في أنه بُني على أساس معلوم في اختياره " [٣] بل ينص الأسد صراحة على ذلك في موضع آخر من المصادر: " أما المفضليات والأصمعيات فلم يبين فيهما أساس الاختيار، وليس فيهما تبويب وتقسيم " [٤]

إلا أن هذا الذوق ما كان له أن ينصرف إلى عمليات الانتقاء والتخير إلا بعد تكدس الشعر المجموع في الخزانات، من دون شك. كيف لا والأخبار تفيدنا،

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٧٩ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨١ .
(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٢ .
(٤) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٣ .

أن المفضل الضبي ترك بين يدي إبراهيم بن عبد الله (نحو١٤٥هـ)" قمطرين فيهما أشعار وأخبار " [١]. ويتوسل الأسد بهذا المعطى إلى أن هذا التوافر الكمي يمثل " رافدًا كبيرًا يساير الرافد الآخر، وهو الرواية الشفهية، ويعاصره، ولا يقل عنه قيمة؛ وهما معًا يكونان هذا الجدول العظيم الذي نسميه: الرواية الأدبية " [٢] .

حماسة أبي تمام :

وهي نوع من الاختيارات الشعرية التي يمكن القول أنها خضعت لاجتهادات أكيدة في التبويب والاختيار .

يقول الأسد: " ثمة ضرب آخر من المختارات يختلف عن المفضليات والأصمعيات في أنه بُني على أساس معلوم في اختياره، ثم في تقسيمه وتبويبه. وهذا الضرب مجموعتان: حماسة أبي تمام، وجمهرة أشعار العرب " [٣]

ولا يهتم الأسد في هذا السياق ما إذا كانت الأبواب موفقة أو مبنية في صورة محكمة أم لا، بل في تصور طريقة جمع الشعر، فقد صنع أبو تمام مختاراته، من غير كتاب بعد أن توافرت له مدونات الشعر، لا رواياته، واستخرج منها بالتالي ما يناسب ذوقه الشعري، وهو ما نعرفه من المرزوقي، شارح "الحماسة" الذي استعاد هذا الخطاب بعد مائتي سنة على وفاة أبي تمام [٤] .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٩١ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٩١ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٢ .

(٤) ينظر: شرح ديوان الحماسة: ١٤/١٣، نشر: أحمد أمين، وعبد السلام هارون ١٩٥١م. نقلا ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٤ .

جمهرة أشعار العرب :

وبعد هذا الجمع المتفرق، الذي تحقق الدكتور الأسد منه مع حماد والأصمعي والمفضل الضبي، نشهد في مدى القرن الهجري الخامس أعمال جمع مختلفة، تقوم على انتقاء النفيس من الشعر، وفي مقطوعات قصيرة في الغالب، ومن هذه المنتخبات كتاب: (جمهرة أشعار العرب) لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي على ما هو مشهور، الذي يقوم على مسعى بين في الفرز، إذ قسم أشعار العرب إلى أقسام وفقا لحسابات واقعة في الجودة والنفاسة، وهو ما ينقله المفضل بن عبدالله المجبري عن القرشي: قال المفضل: فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والاسلام، وأنفس شعر كل رجل منهم "[١] .

وهي مجموعة سباعية تشتمل على سبعة أقسام، أولها: المعلقات السبع، وتحمل الأقسام الستة الباقية العناوين التالية: المجمهرات، المنتقيات، المذهبات، المراثي، المشوبات، الملحمات، وسبق ذلك كله مقدمة في المجازات واختلاف العلماء في تفضيل بعض مشاهير الشعراء.

وقد رصد الأسد مثار الخلاف العريض حول حقيقة اسم صاحب الجمهرة وزمنه؛ وحول نسبة مجموعة (جمهرة أشعار العرب) إليه، لينتهي إلى نتيجة تقريبية أنه عاش في الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع إلى منتصف القرن الخامس الهجريين .

(١) ينظر: جمهرة أشعار العرب، ص ٣٥، نقلا ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٧ .

أما اسمه ففيه من الاضطراب الكثير: فهو تارة أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، وتارة محمد بن أبي الخطاب من غير كنية، ومن غير نسبة بعد الاسم وتارة ابن أبي الخطاب، وتارة محمد بن أيوب العزيزي ثم العمري [١] .

وأما حقيقته فلا يقل الخلاف حولها عن الخلاف حول وفاته واسمه، فهل هو جامع جمهرة أشعار العرب، أو شارحها، أو راويتها ؟ [٢] مسألة تتضارب حولها الأقوال .

وكذلك الأمر فيما يتعلق بنسبة الكتاب وعنوانه، فالكتاب ينسب حيناً إلى أبي زيد القرشي، أو محمد بن أبي الخطاب، وينسب حيناً آخر إلى محمد بن أيوب العزيزي ثم العمري، وينسب حيناً ثالثاً إلى أبي عبد الله المفضل بن عبد الله ابن محمد المجبَّر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب [٣] .

والمشهور أن عنوان الكتاب هو (جمهرة أشعار العرب)، وقد وردت هذه التسمية عند ابن رشيق في العمدة وعند البغدادي في الخزانة [٤]، ولكن الدكتور ناصر الدين الأسد يذكر أنه اطلع في معهد المخطوطات العربية على صورة أصلها مكتبة (كوبريلي) عنوانها (جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام وما وافق القرآن على ألسنتهم واشتقّت به لغتهم وألفاظهم)، ويقول: إن تلك الصورة " تتفق مع النسخة المطبوعة في العنوان والمحتويات " [٥]

---

(١) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٦ .

(٢) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٦ .

(٣) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٦، ٥٨٧ .

(٤) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ١/١٠، ٦١، ٢/ ٥٥، ٤/ ١٦٣، ٥٣٨، ٥٤٥. السلفية ١٣٤٧هـ، وبولاق. وينظر: العمدة: ٢/ ٤٨٠، عمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد ١٩٣٤م، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٦ .

(٥) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٦ .

هذا فضلاً عن أن جميع من نسبت إليهم هذه المجموعة مجهولون، فأبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي " مجهول ليس لـــه أدنـــى ذكر في جميع كتب الطبقات والرجال، فلم يذكر مع المحدثين ورواة الحديث، ولا مع اللغويين، والنحويين، ولا مع الشعراء والأدباء، ولا مع مؤلفي الكتب، وجامعي الدواوين"[١] كما أن المفضل بن عبد الله المجبّري " مجهول لم تذكره الرجال والطبقات" [٢] .

والأمر كذلك بالنســبة إلى محمد بن أيوب العزيزي العمري، فهو أيضاً مجهول لم يعثر له على ترجمـــة، وهل هو " غير محمد بن أبي الخطاب القرشي، أو أنه هو هو ؟ ويكون أبوه أيوب هو أبا الخطاب كنيةً ؟ " [٣] . لم يصل البحث في ذلك كله إلى نتيجة حاسمة .

وخلاصة القول التي توصل إليها الأسد بعد طول بحث وتنقيب: أن نســبة كتاب (الجمهرة) إلى صاحبها " عقدة تحتـــاج إلـــى حـــل، والتعريـــف بصـــاحبها وترجمته، عقدة أخرى لا تقل عن الأولى، وأكثر الرواة الذين يروى عنهم مجاهيل لم نجد لهم ذكراً فيما بين أيدينا مـــن كتـــب الرجـــال والطبقـــات " كمـــا يقـــول الدكتور/ناصر الدين الأسد " وهي عقدة ثالثة تنافس في الصعوبة سابقتيها [٤] .

وهكذا ينتهي الباحث في قضية تدوين هذه المختارات الشعرية إلى خلاصة مفادها: أن العلماء في القرن الثاني كانوا قد فرغوا من تدوين أشعار الشعراء المكثرين، ومن دراسة دواوين الشعراء المشهورين، ومن أجل هذا كان لابد لهم من أن يعمدوا " إلى أشعار الشعراء المقلين " فيختاروا منها " لكل شاعر أجود ما

---

(١) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٤، ٥٨٥ .
(٢) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٧ .
(٣) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٦ .
(٤) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٨٤ .

قال "، ثم إن الرواية عن الشيخ: قراءة وإملاء، كانت وسيلة من وسائل اختيار بعض هذه المختارات .

غير أن الوسيلة الكبرى التي كانت أكثر اتباعًا في اختيار المختارات كانت الرجوع إلى دواوين الشعراء وكتب الشعر التي كانت متوفرة بين يدي علماء القرن الثاني.

(٤) المصنفات في غير الدواوين :

واصلت قراءة الأسد بحثها في مصادر الشعر الجاهلي إلى إثبات أن هذه المصادر لم تعتمد فقط بعض عيون الشعر الجاهلي، كالدواوين المفردة أو المختارات الشعرية المميزة كالمفضليات والأصمعيات أو الحماسة أو الجمهرة، وإنما تبرز كذلك في مصادر أخرى لا تقل أهمية من حيث القيمة العلمية من المصادر السابقة .

ويبلغ المنهج النقدي مداه حين يعرض للشعر الجاهلي في غير الدواوين من كتب النحو واللّغة وكتب السيرة وكتب الأدب العامة .

لقد اتسم منهج الأسد بالمرونة في التعامل مع المصادر الثانوية للشعر، متفهما طبيعة هذه المصادر بحسبانها غير أصيلة فهي " ليست مصدرًا أوليًّا من مصادر الشعر الجاهلي " [١] فيما يتعلق بطريقة تناولها للنصوص الشعرية؛ فلم يخضعها أو يعرضها للنقد الشديد، بل خفف من شرائط قبولها أمام الروايات المتصلة بالمصادر الأولى السابقة في الترتيب، وذلك اتساقا مع من يقول: " إن من الضروري وضع قواعد خاصة للمؤرخين، وهي تخفيف الشدة في تقييم رواة الأخبار التاريخية، والتعامل مع نصوصهم على وفق معايير أقل صرامة، وذلك

(١) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٩٢ .

بغية الإفادة من رصيدهم التاريخي الكبير [١] .

فلم تهمل قراءة الأسد في المصادر التراثية الكثيرة التي تضمنت في طياتها أشعار الجاهلية، كالمصنفات النحوية مثل: (الكتاب) لسيبويه، ومصنفات التاريخ والسير كـ (سيرة ابن إسحاق) والمصادر الجامعة كـ (البيان والتبيين) و(الحيوان) للجاحظ، لما للأشعار الجاهلية الواردة فيها من قيمة علمية ورواية موثقة تحرى فيها أصحابها المنهج العلمي والإسناد المتواتر، ولما للشعر الجاهلي الوارد فيها من قيمة فنية وتاريخية وعلمية.

خالصًا إلى أن الشعر في هذه الضروب المختلفة من الكتب ليس غاية تقصد، إنّما وسيلة تلتمس لغيرها من الغايات فهو يساق حينا للاستدلال والاحتجاج كما في كتب اللغة والنحو[٢] ويساق حينا آخر للاستشهاد والتمثيل وتقوية الخبر كما في كتب السيرة والتاريخ والأدب العام[٣] وبذلك لا يعنى مؤلفو هذه الكتب بتحقيق نسبة الشعر إلى شاعر بذاته، وإنّما حسبهم أن يكون هذا الشعر قديما قد قيل في عصر يصح الاستشهاد والاحتجاج به أو مما قالته القبائل، ومن أجل هذا لا نغالي إذا قلنا إن هذه الكتب كلها بأنواعها المختلفة ليست بطبيعتها مصدرًا أصيلا من مصادر الشعر التي يعتمد عليها .

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: ٢٠/١، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، ط: السادسة ٢٠٠٥م.

(٢) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٩٧ .

(٣) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٩٩ .

خاتمـــــة

بعد هذا العرض الذي طوفنا فيه مع كتاب: (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) والذي يعد رائدا للدراسات النقدية التاريخية، فقد فتح المجال أمام العديد من الدراسات والدارسين، ليكون مرجعا هاما من مراجع دراسة الشعر الجاهلي، حيث نجح الأسد – باقتدار – في تطبيق الاتجاه التاريخي في دراسته لمصادر الشعر الجاهلي وقد تمثل هذا النجاح من خلال:

١- استظهار العوامل الثلاث المكونة لعملية التوثيق (البيئة والجنس والوسط) فضلا عن أن الذوق الفني ملازم لعمل المؤلف، ولا عجب في ذلـــك، فالنقـــاد التاريخيون يعدونه دعامة أساسية في استنطاق المادة الأدبية .

٢- فيما يتعلق بالوسط الذي تحركت فيه عملية التوثيق نجد أن دراســـة الأســـد لمصادر الشعر الجاهلي كانت من أعمق الدراسات في هذا الصدد، إذ وّثـــق مادة هذا الشعر وِفْق منهج علمي تاريخي تتبع فيه رواية الشعر عند الثقاة من الرواة، وعند هذه الخطوة نقطة البدء الصحيحة للوصول إلى جذور هذا الشعر، وهذه الخطوة في نظر الباحث لم يلتفت إليها كثير من دارسي هـــذا الشعر.

٣- وفيما يتعلق بمستوى البحث في (وثوقية المتن الشعري) نظـــر الأســـد فـــي الدواوين المفردة والمقطعات، ودواوين القبائل، والمختارات وفي غير ديوان الشعر في بعض كتب المعارف الأدبية العامة كما عنى بدراسة الشعر مـــن داخله دراسة استقرائية نصية، استشفافًا لدلالته في حدود ألفاظه .

٤- إن البعد الجغرافي بحسبانه إطارا بيئيا وسياقا تاريخيـــا ومصـــدرا للتوثيـــق والترجيح بين الروايات لم يكن مثار اهتمام المؤلف، وذلك فيما يتعلق بأسماء الأماكن الواردة في ديوان الشعر الجاهلي، وذلك يرجع فـــي الظـــن إلـــى أن

الدراسات الأثرية المتعلقة بالجزيرة العربية لم تكن قد استقرت نتائجها بعد في الحقبة التى ظهر فيها الكتاب مما يساعد على إعطاء صورة تقريبية أقرب للحقيقة للحياة الجاهلية بحسبانها إطارا واقعيا لمنجزهم الأدبي والمعرفي .

على أننا يمكن أن نخرج في خاتمة هذا البحث حول وسائل وأدوات الأسد في كتابه بأن المحاور الثلاث المذكورة، والتي طرحها البحث إطارا عاما لتوثيق الشعر الجاهلي، هذه المحاور بما تحويه من أبعاد مختلفة – سردتْ في ثنايا البحث – دعت الدكتور الأسد إلى الاستعانة على طرحها بأدوات مختلفة وفق ما تستدعيه طبيعة كل قضية، ويمكن إجمالها في الآتي :

أولا : **مبدأ الترجيح** :

وهذه الدراسة تقوم في مقدماتها على الرواية والأخبار التاريخية والنصوص الشعرية، ومن المتوقّع والحالة هذه تغليب رواية على رواية، وخبر على غيره، مما يقلل من شأن الحكم القطعي في مثل هذه الدراسات النظرية البحتة. لذلك كان الوصول إلى النتائج عند الدكتور الأسد يعتمد الحاسّة المرجّحة لأمر على غيره وفق قناعات الباحث، وما أتاحته له أدواته المنهجية. لذلك كان لا يتورع ناصر الدين الأسد عن ترجيح رأي على رأي، وتصحيح أخطاء الباحثين بالدليل والبرهان؛ إذ أن اليقين في بعض مسائل تاريخ الأدب غير مطلوب [١] .

ثانيا : **الاستشهاد و التفصيل والاستقصاء** :

حيث يشيع في الكتاب الأسلوب العلمي الذي يميل فيه إلى التقسيم والتنميق وصياغة النظريات، كذلك المبالغة في التفصيل والتقصي والاستشهاد، حتى لكأنه يستعرض معلوماته استعراضاً. وقد أتاح له تأخره عن بقية النقاد في

(١) ينظر: مقدمة مصادر الشعر، ص ٤ .

مسألة مصدرية الشعر الجاهلي – الإتيان بإضافات دقيقة وأحكام جديدة وفوائد علمية نادرة في معظم الردود، وجاء بكثير مما تركوه دون أن يغمطهم فضلهم .

فقد تبحر الدكتور/ ناصر الدين الأسد في المراجع القديمة والحديثة والأجنبية وطوعها كأداة نقدية تطويعاً حسناً، حيث يمكن عده أكثر نقادنا استعانة بالمراجع في قضية التوثق على اختلاف وجهاتها . فقد ورد من أسماء المؤلفين والعلماء القدماء والمحدثين العرب والأجانب في كتابه ما لم يرد عند أحد من أصحاب الردود؛ مما جعل هذا المؤلَّف يحظى باحترام الباحثين وإجماعهم على تقديمه على ما سواه، ممن عرضوا لهذا الموضوع . وفي كثير من الأحيان كان الأسد يحاول تفادي ما قال سابقوه لتكون له بصمة خاصة في نقده، وقد أظهرت هذه الطريقة عنده فكراً جديداً وطابعاً شيقاً مميزاً له عن غيره .

ثالثا: طرح الأسئلة الموصلة للإجابة:

لذلك يغلب على أسلوب الكتاب التساؤل الذي يطرق به مباحث كثيرة كان الأولى في البحث العلمي الإجابة عنها قبل أن تصدر أحكام كالتي أصدرها بعض من سبقه ؛ بناء على الحدس والخيال، فتكثر عنده التساؤلات الإنكارية الموصلة للإجابات المنطقية في طريقة عرض الأفكار ، حتى لتغدو سمة بارزة [١].

رابعا: طريقة الفرض والاستبعاد ووضع الفرضيات العلمية ، ثم تقديم البراهين والدلائل التاريخية لإثبات الفكرة :

ومن أهم هذه البراهين والدلائل التمثيل والمقارنة بأحداث التاريخ الحاضر، فهو كثيراً ما يقرن بين القديم والحديث والحاضر والماضي[٢]، ليستدل على إمكانية بل معقولية تلك الأحداث، فلو لم تكن كذلك لما حصلت باستمرار

(١) ينظر على سبيل المثال: مصادر الشعر، ص ١١٢، ٤٧٦، ٥٨٦، ٥٩٤، ٦٢١، ٦٢٢
(٢) انظر على سبيل المثال: الصفحات ٦٠، ٦٦، ٨٥، ٩٢، ١١٤ .

وأعاد التاريخ نفسه فيها ... وهذا يدل في مجمله على معرفة الأسد الغزيرة بتاريخ اللغة والأدب .

خامسا: **الأسلوب العلمي والاستدلال المنطقي** :

وقد اعتمد في مناقشاته طريقة الاستنتاج العلمي ، وذلك عبر ردود تحليلية منطقية دقيقة، مدعمة بالأدلة والأمثلة التي تناقش الرأي بالحجة ، وكأنه ينقد المعلومة الواردة لا الطريقة والمقولة لا القائل .

سادسا : **الربط بين قضايا الكتاب** :

وحتى يظهر الأسد تميزه كان يربط ربطاً جميلاً بين قضايا الكتاب، حيث يورد ملخص كل فصل بعبارات مركزة فيها إجمال ما أبرزته هذه المباحث ؛ ليمهد به إلى المبحث التالي .

مصادر البحث ومراجعه

١- اتجاهات النقد الأدبي الحديث في الأردن: محمد مصطفى أحمد أبو طير، محمد أحمد القضاة، ضمن سلسلة (دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٩م).

٢- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، ط: دار الكتب ١٩٤٢م .

٣- البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون ١٩٤٨م.

٤- تاريخ آداب العرب: الرافعي، مكتبة الإيمان ١٩٩٧م.

٥- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط: السابعة.

٦- تاريخ الأدب العربي: رجيس بلاشير، ترجمة: الدكتور/ إبراهيم الكيلاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدّار التونسية للنشر والتوزيع، تونس ١٩٨٦م.

٧- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار وآخرين، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.

٨- جريدة الشرق الأوسط العدد ٨١٥٣، بتاريخ الأحد ٢٩ ذي الحجة ١٤٢١هـ / ٢٥ مارس ٢٠٠١م .

٩- حركة الشعر في بني نهشل من تميم في العصر الجاهلي – رسالة ماجستير– فتحي إبراهيم أحمد خضر، جامعة النجاح الوطنية – كلية الآداب – نابلس ١٩٩٥م .

١٠- خزانة الأدب ولب لباب العرب: البغدادي، السلفية ١٣٤٧هـ، وبولاق.

١١- ديوان الأسود بن يعفر .

١٢- ديوان عديّ .

١٣- السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، ط: السادسة، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٥م.

١٤- شرح ديوان الحماسة، نشر: أحمد أمين، وعبد السلام هارون ١٩٥١م.

١٥- الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا: د/ أحمد عتمان، سلسلة عالم المعرفة رقم ٧٧، ١٩٨٤م .

١٦- صبح الأعشى: القلقشندي، دار الكتب المصرية ١٩٢٢م .

١٧- الطبقات الكبرى: ابن سعد، ط: بريل في ليدن سنة ١٣٢٢.

١٨- طبقات فحول الشعراء: ابن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط: دار المعارف.

١٩- العقد الفريد: ابن عبد ربه، تحقيق: محمد سعيد العريان، ط: الاستقامة ١٩٤٠م

٢٠- العمدة = عمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد ١٩٣٤م .

٢١- الغزل في العصر الجاهلي: د/ أحمد الحوفي، دار نهضة مصر ١٩٧٣م.

٢٢- قصائد جاهلية نادرة: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٢٣- قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد: عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٧م .

٢٤- كتب الرجال: الشيخ علي أبو شاكر، ط: الدار العالمية للنشر والتوزيع، عمان، ط: الأولى ١٩٩٩م.

٢٥- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان ٢٠٠٣ م .

٢٦- المحبر: ابن حبيب، طبع الهند ١٩٤٢م .

٢٧- المدخل إلى الدراسات التاريخية لانجلوا وسينوبوس، شارل، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، القاهرة ١٩٦٧م .

٢٨- المزهر في علوم اللغة: السيوطي، ط: عيسى البابي الحلبي، ط: الثانية.

٢٩- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط: دار المعارف بمصر، ط: السابعة ١٩٨٨م .

٣٠- معجم البلدان: ياقوت الحموي

٣١- المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط: دار المعارف.

٣٢- مقدمة ابن خلدون، بتحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب ٢٠٠٤م .

٣٣- من الرواية إلى التدوين مجلة (دعوة الحق) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية العدد.

٣٤- مناهج النقد الأدبي في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين، أحمد ياسين العرود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٤م

٣٥- المنطق الوضعي: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥م .

٣٦- المنطق ومناهج البحث: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: الرابعة، القاهرة، مصر ١٩٦٦م .

٣٧- منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي: محمد عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، ط: الثالثة ١٩٨٤م.

٣٨- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه: عبد الحكيم بلبع، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٤م

٣٩- نحن والتاريخ: قسطنطين زريق، بيروت، ط: الثانية ١٩٦٣م.

٤٠- النقد التاريخي المدخل إلى الدراسات التاريخية لانجلوا وسينوبوس، شارل، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، القاهرة ١٩٦٧ م.

٤١- نمط صعب ونمط مخيف للأستاذ/ محمود شاكر، مطبعة المدني، دار المدني، ط: الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٣١٠٩
٢	تمهيد : الكتاب نظرة عامة	٣١١٢
٣	المبحث الأول : البحث في المعطيات السياقية للشعر الجاهلي	٣١١٩
٤	أولا : صلة الشعر بالبيئة الطبيعية والتاريخية :	٣١١٩
٥	ثانيا: الكتابة وصلتها بقضية التوثيق :	٣١٢٢
٦	المبحث الثاني : البحث في وثوقية الوسيلة الناقلة للشعر، ويشمل:	٣١٣١
٧	أولا : تقييد الشعر في صحيفة مدونة	٣١٣١
٨	ثانيا : الرواية الأدبية	٣١٣٩
٩	ثالثا : الرواة	٣١٤٣
١٠	المبحث الثالث : البحث في وثوقية المتن الشعري	٣١٥٤
١١	الخاتمة	٣١٧٠
١٢	مصادر البحث ومراجعه	٣١٧٤
١٣	فهرس الموضوعات	٣١٧٨